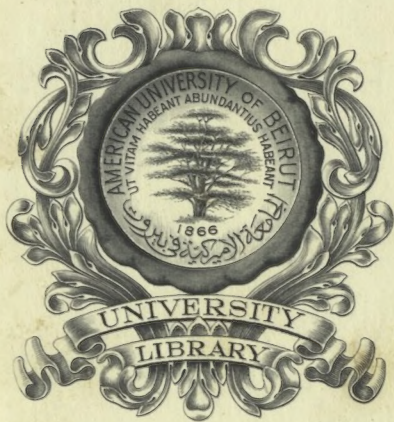


كتاب

الحديث المستعصر

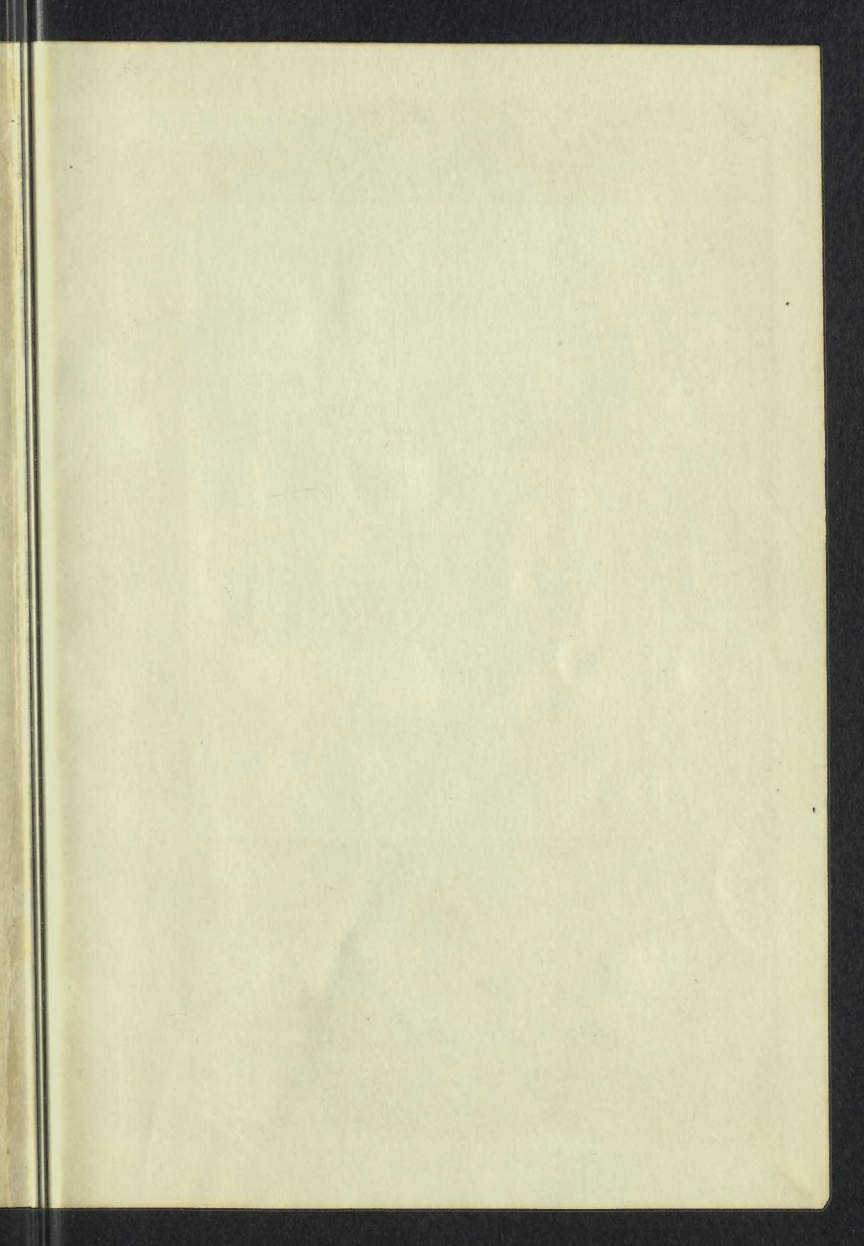
AUB Libraries

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



تجليد صالح الدقور

رقم ٢٢٢٩٧٧







892.78

K87

سید قطب

892.78

Q673 mA

C.I

المدينة المسحورة

٣٩

اقرا

دار المعارف للطباعة والنشر

إلى الأرض حتى يخلق في السماء ، ولا يكاد حسه يستقر حتى يضطرب من جديد !

لقد أحس أن شهر زاد قد تجاوزت به المدى في هذه الحياة الخيالية ، وبعدت به طويلا عن الحياة الحقيقية ، وأحس بشوق إلى الحياة في الأرض ، والعودة إلى الواقع . كان قد عاش طويلا في الأحلام مغمض العينين ، يسبح مع شهر زاد الساحرة في عالم الأوهام ، فأراد أن يفتح عينيهِ ، ويرى الأشياء كما تبدو للأيقاف في وضوح النهار .

وما كادت شهر زاد تحتتم قصتها الأخيرة في الليلة الواحدة بعد الألف حتى شعرت أن الملك قد سئم ، وأنه لن يستمع إليها من جديد ، فلم تنتظر حتى يشير عليها بالصمت ، أو يهرب من جناح القصر الذي فيه يجتمعان . فقالت في نهاية القصة الأخيرة : « والآن يا مولاي أحسبني في حل من استئذان الملك في أن أعفيه ولو لبضع ليال من هذه الأحاديث الطوال ، وأن أنصرف بعض الشيء إلى أطفالنا الثلاثة ، فأنظر في الإشراف على نشاطهم لينشأوا لائقين بوالدهم العظيم . فأنا يا مولاي لا أستطيع أن أعتمد إلى ما شاء الله على إشراف المربيات ورجال الحاشية ، مهما بلغن

ومهما بلغوا من الإخلاص ومن الخبرة بشئون التربية والتكوين ،
 فإن إشراف الأم لا يعدله إشراف ، وإدراك الأم لحاجات طفلها
 وضروراته قائم على حاسة خفية في نفسها لا تتوافر لأي إنسان ،
 وإن الطفل ليجد عندها بحسه الفطري ما لا يجد عند سواها
 كأننا من كان . . . فإذا أذن الملك فسأكون منذ الليلة القادمة
 في جناحي الخاص . »

وما كان الملك في حاجة إلى كل هذا البيان ، ولكنه ارتاح
 إليه ارتياحا شديداً . فلقد كان في حيرة : كيف يستطيع أن يشير
 على شهر زاد بالصمت منذ الليلة القادمة ، وكيف يشير عليها أن تنجح
 إلى جناحها الخاص منذ الغد ، بعد ما استمع إليها ألف ليلة وليلة في
 شغف وإقبال في أول الأمر ، وفي تراخ يتزايد في أخريات الليالي !
 لقد كان يعز عليه أن يجرح كبرياءها ، وأن يجابهها بالملل والنفور
 بعد ما استلذ أحاديثها ثلاثة أعوام ، وخرج بهذه الأحاديث من
 حال إلى حال ، واستحال من سفاك متعطش للدماء إلى إنسان
 وديع هادئ الطباع . ولم يكن الذنب ذنب شهر زاد في مله
 الأحاديث ، فهي لم تقصر في انتقامها وتصفيتها ، ولكنه ذنب
 النفس الإنسانية التي تسأم تشابه الأحوال .

كان الملك يدير مثل هذه الأحاديث في نفسه حينما أدركت
 شهر زاد بغريزتها الفطنة أن الانسحاب هو أنسب التصرفات .
 فلما سمع الملك استئذانها أحس في نفسه بارتياح لذيذ ، وتوارى الملل
 الذي كان يستشعره ، وكبرت في نفسه شهر زاد من جديد . ولكنه
 أذن لها فيما تريد ، لأنه لن يصبر بعد اليوم على هذه الأحاديث .
 فلما كانت الليلة التالية وجد نفسه وحيدا في جناحه الخاص
 فأحس بارتياح شديد لهذه الوحدة المحبوبة .
 ومرت الأيام . . .

ولكنه منذ ثلاث ليال عاوده الأرق ، فما ينام إلا في مطلع
 الفجر بعد التعب والهمود . أما في هذه الليلة الأخيرة ، فقد
 أوشتك الصبح ، والأرق يلاحقه كالمطارد اللئيم . إن صدره ضيق
 ضيق ، وإنه ليحس هذا الضيق يستحيل شيئا ماديا محسوسا ،
 يقبض عنقه ويؤلم صدره فيكتم أنفاسه ، ويحس له بثقل شديد .
 ماذا ؟

لقد عاش في الأرض تسعا وتسعين ليلة . عاش في الواقع
 المحسوس الذي كان قد شاقه فنشهاه . عاش في العالم المنظور بحواسه

وذهنه بعيداً عن العالم المسحور الذى خلقته شهر زاد .

ولكنه يدرك الآن : كم يفقد الإنسان حينما يفقد الأحلام !

إن هذا العالم ضيق ضيق ، تافه تافه ، صغير صغير . إن ما تبلغه

الحواس هو أمد قصير ، وإن ما يبلغه الوعى هو أفق قريب .

وإن الخيال والأحلام ليبلغان بهذا الخلق الإنسانى الحدود أبعد

الآمال وأوسع الحدود .

ألا ما أشقى الإنسان الذى لا يملك من هذا العالم إلا

ما تبصره عيناه !

لقد جالت هذه الخواطر فى نفس الملك منذ ليال ، فأحس

عندها بالشوق إلى شهر زاد ، وبالحنين إلى أحاديثها الحلوة

الشهية التى كانت تطير به من عالم إلى عالم ، وتتجاوز به الحدود

والقيود ، وتطلقه من جميع الخواجز ، وتمزج له الواقع بالخيال ،

وتجمع بين الأرض والسماء ، والبر والبحر ، والأطباق والأجواء ،

والإنس والجن ، والأموات والأحياء .

أحس بهذا كله منذ ليال ، وأحس باللهفة إلى لقاء شهر زاد

ورأوده نفسه أن يتسلل إلى جناحها الخاص فى غفلة من الرقباء

والحراس ، ولكن كبرياءه صدته ليلة بعد ليلة أن يذهب إلى شهر زاد !

أما في هذه الليلة الأخيرة ، فقد أضجره الأرق وبرح به الضيق ، وأجد له الشوق إلى شهر زاد منطقاً جديداً :

فيم الكبرياء ؟ وماذا يجرحها ! إنه لم يصرح لشهر زاد بملله وسأتمه ، وهي التي استأذنته في أن تعزل جناحه فأذن ؟ وإنه ليكون تلطفاً منه أن يذهب إلى جناحها الخاص !

— ولكن أليست هي التي اعتزلتني ، وانصرفت عن تحديثي ، فكيف أبدأ أنا الآن بالعودة إلى ما كان ؟

— بلى ! هي التي اعتزلتك . ولكن ألم تكن أنت راغباً في هذه العزلة ؟ ألم تكن شبعت من هذه الأحاديث ؟ ألم تكن في حيرة من أمرك كيف تصدها عنها وتنأى بها عنك ؟

وفيا هو يجادل نفسه وتجادله ، كان قد تجاوز جناحه الملكي في الطريق إلى جناح الملكة . وتنبيه الحارس الخاص فأدى التحية ، فأشار إليه الملك بالصمت ، ومضى إلى جناح الملكة الخاص .

ولما كان على باب الخدع أدركته حيرة مفاجئة : ماذا يقول الآن لشهر زاد ؟ ما حجته في هذه الزيارة الغريبة في مطامع الفجر بعد تسع وتسعين ليلة ؟

وكاد يهم بالرجوع ، ولم يدر أنه لفرط حيرته قد رفع صوته

قليلاً وهو يحاور نفسه وتحاوره ، حتى أحست به شهر زاد . لقد سمعته يتم ، ورأته يتأخر ويتقدم . فأدركت بغريزتها اليقظة حقيقة موقفه ، وخافت أن يفلت منها الزمام ، فنهضت جالسة في السرير ، ورفعت مفتاح النور ، فتلاً للقنديل ، وقالت تتصنع الدهشة :

— من ؟ مولاي !

وعندئذ لم يجد بداً من الإقدام ، فأجاب في اضطراب يخفيه :

— أى نعم ! معذرة في اقلاقك يا شهر زاد !

قالت :

— بل الشكر للملك . لقد جاء في اللحظة المناسبة . لقد كنت أحلم حلماً مخيفاً ، وكأنيما أحسست يا مولاي بما أنا فيه من الضيق ، فحضرت اللحظة للإنقاذ .

وافتر ثغرها عن ابتسامة مشرقة . فوجد شهر يار الطريق أمامه مفتوحاً ، وقد أوجدت له المنفذ المناسب شهر زاد !

قال : لقد شعرت بانقباض شديد ، وخالجنى إحساس غامض بأن أحضر إلى مخدعك في هذه اللحظة بالذات !

انتفضت شهر زاد من الفراش ، وهي تتننى فيبدو قوامها الفاتن ،

وتلقى برأسها إلى الراء لترد شعرها الجميل ، ومدت يدها إلى الملك مصافحة ، وقادته إلى مقعد مريح ، وجلست بجواره ، ويده بين يديها في دلال .

وأنس شهر يار لاستقبالها الفاتن ، وأحس أن ما يزعمه من الكبرياء الجريحة وهم سخيف . فها هو ذا بين يدي شهرزاده الساحرة ، وقلبها من قلبه قريب ؛ فليدع هذه الحواجز الوهمية بينه وبينها ، فليس بين الرجل والمرأة — حين يخلوان — ذلك الحجاب المتوهم من الكبرياء أو غير الكبرياء !

قالت شهرزاد — تستدرجه للحديث :

— كأني بك مؤرق يا مولاي ؟

قال — وقد عاودته الكبرياء :

— كلا ! وماذا يدعوك إلى هذا الظن الآن ؟

قالت متلطفة :

— أرى علامته على وجهك يا شهر يار . فماذا هناك ؟

إنني امرأتك ، فما يدعوك إلى السكتان ؟

قال الملك — وقد أسره تطفها الودود :

— الحق أنني مؤرق منذ ثلاث ليال .

وسكت ؛ فنظرت إليه شهر زاد مستريضة ، وقالت لتفتح
له الحديث :

— ولماذا لم تستدعني إليك منذ الليلة الأولى ، لنقاوم معاً
هذا الوافد الثقيل ؟
قال :

— لقد أشفقت عليك أن أؤرقك معي وأنت منصرفة إلى
رعاية أطفالنا الصغار !
قالت شهر زاد :

— أطفالنا ؟ إنما أطفالنا ونحن جميعاً بك أيها الملك . . .
فماذا هناك ؟

تنهد شهر يار كأنما يزيج عن صدره ثقلًا وقال :
— أرايت يا شهر زاد إلى أحاديثك الجميلة ألف ليلة وليلة !
أين تراها الآن ؟ لقد كانت تنقلنا على جناح الخيال إلى عوالم
وآباد لا مثيل لها فيما نحسه أو نراه . إن العالم المحسوس عالم
ضيق يا شهر زاد . بل عالم جاف مشوه قبيح . إن الحياة بلا خيال
نوع من التحجر ، والعيش بلا أحلام حيوانية بليدة . . .
أو لازلت تملكين يا شهر زاد أن تردينا إلى العوالم المسحورة ،

وإلى الأكوام الحاملة ، وإلى الآفاق الوضيئة ، التي عشنا فيها
ثلاثة أعوام ؟

قالت شهر زاد في تخابث ودلال :

— أخشى أن يكون هذا الحديث تلمظاً من الملك مع مولاته
شهر زاد، أراد أن يشعره بأنه لم يأذن لها في الاعتزال عن ملال !
قال شهر يار في حماسة :

— كلا كلا يا شهر زاد . أو كذلك أنها رغبة حقيقية . لقد
ضقت بهذا العالم المحسوس . لقد شعرت بالغربة فيه بعد أن
فارقته ألف ليلة وليلة ، ونسيت ضيقه وتحجره ؛ حتى إذا عدت
إليه ألفتته كما تركته قبل أحاديثك الجميلة . إنه مزعج . إنه
رديء . إنه نوع من الموت في أثناء الحياة !

قالت شهر زاد : وقد أطمأنت إلى مكانها ، وانتقمت لكبريائها :
— الحق — أيها الملك — لقد كنت أقدر ذلك كله . كنت
أعلم أن من اعتاد الحياة في جو الأحلام الوضيئة والخيال الطليق
والعوالم الفسيحة ، عزيز عليه أن يقص أجنحته ، ويقبع في هذا
العالم الضيق الذي يدعونه عالم الحقيقة والواقع . والحقيقة والواقع
مظلومان يامولاي . فالحقيقة الكبرى لن تحدها نظرة جيل ،

والواقع الأصيل لن يحصره إدراك فرد ... إن الحقيقة أعلى بكثير
وأكبر بكثير من كل ما يتصوره فرد أو جيل ؛ وإن الواقع لأعمق
بكثير وأفسح بكثير مما تحده الأبصار والحواس ؛ وإن ما يسميه
أبناء الفناء بالواقع والحقيقة إن هو إلا طرف صغير ضئيل من الواقع
ومن الحقيقة ؛ وإنهم لن يستطيعوا إدراك ما هو أكثر وأكبر
ما داموا يثقون في حواسهم هذه الثقة العجيبة ، وينخدعون
بأذهانهم هذا الانخداع المريب ؛ وإنهم لن يصلوا إلى شيء
إلا بالوجدان والخيال والأحلام . هذه هي الأشعة السحرية التي
تكشف الآباد والآفاق ؛ وتنير للإنسانية فترى على ضوءها
ما لا تدركه عقولها ، وما لا تبلغه خطواتها ، ولكنها تنزود منه
بالمحة والنظرة ؛ وتهدف في شوقها إليه نحو الحقيقة والخلود .
... كان الملك يسمع هذه السبحات من شهر زاد ، وهو
مأخوذ مشدوه ، كأنما يستمع إلى هاتف من الغيب وراء الأستار .
فلما سكنت تنبه كما يتنبه الحالم وقال :

— والآن يا شهر زاد ، هيا بنا إلى عالم الحقيقة الكبرى .
عالم الأحلام والخيال !
قالت شهر زاد :

لقد ادخرت يامولاي لهذه الليلة أجمل قصصى وأروعها ؛ فلقد كنت واثقة ، كما قلت ، من عودة الليالى ، ووصل ما انقطع بعد أمد قصير أو طويل . ولكن انظر (وكشفت بيدها الستار عن النافذة فبدت تباشير الصباح) : « لقد أدرك شهرزاد الصباح » فأتم الملك باسمها : « فسكتت عن الكلام المباح » !
 قالت :

إن الصبح يبدد الأحلام ، وإن الضجة تفرع الأطياف ، وإن موعدنا هو الليل الهادىء ، حيث يضرب الظلام على العين والنظر فتفتتح البصيرة ، ويسبح الخيال ، وحيث تتوارى الضجة وتخفت الحركة ، فتدب الأطياف وتسرى الأحلام .
 قال شهر يار :

إنك لما كره وإنك لساحرة . وإنك لفاتنة بهذا وذاك ! والآن
 فى اللقاء ، حينما يضافى الظلام ، وتسرح الأحلام .
 قالت شهر زاد :
 إلى اللقاء . . .

المدينة المسحورة

فلما كانت الليلة الواحدة بعد المائة قالت شهر زاد :
 بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان ، وسالف العصر
 والأوان ، مدينة عظيمة فى مصر القديمة ، يتبعها إقليم بين الوادى
 والصحراء يحكمه الملك « نفرىت »

وكان لهذه المدينة أسوار عالية تحميها من الأعداء ، وكان لهذه
 الأسوار أبواب ضخمة يقوم عليها الحراس الشداد ؛ وهذه الأبواب
 تفتح نهاراً عند مطلع الشمس ، وتغلق ليلاً عند غروبها ، فيمنع
 الدخول والخروج إلا لمن يحمل كلمة السر من الحكام والحراس .
 وكان على مقربة من المدينة غابة فسيحة كثيفة عالية الأشجار ،
 وكانت المراعى تتخلل فجواتها الكثيرة ، فيدخل الرعاة بأغنامهم فى
 فجوات الغابة ، لترعى الحشائش النابتة فيها ، كما كانت بعض
 الذئاب تأوى إليها وبعض الضباع ، تتلقف الحملان الضالة التى تتناثر
 من القطيع . وكانت الأرانب البرية والثعالب والظباء تتكاثر فيها
 وتنمو ، فيخرج الصيادون لصيدها فى مواسم من السنة ، بعضهم
 يتخذها للكسب والتجارة ، وبعضهم يتخذها للهو والتسلية .

وعلى حفاقي الغابة كانت تتناثر بضعة أكواخ وحظائر للرعاة والصيادين الفقراء ، يأوون إليها بأنفسهم وأغنمامهم ، حين يدخل الظلام ، ويصبح التجوال في الغابة خطراً بين الذئاب الجائعة والضباع الهاجمة ؛ وكثيراً ما كانوا يوقدون أمام أكواخهم ناراً تشتعل طول الليل تخويفاً لهذه الحيوانات من السطو على الحظائر في جنح الظلام .

وكان للملك في وسط المدينة قصر عظيم يتألف من أجنحة كثيرة ، وتتبعه أقسام للحراس والاصطبلات ، وأمامه ساحة فسيحة يتدرب فيها الجند ، وتقام فيها الاستعراضات العسكرية والحفلات الملكية ، وتتسع لعدد كبير من الناس . وعلى الجانب الآخر من الساحة يقوم قصر أصغر من قصر الملك هو قصر أخيه . ولم يكن يعكر صفو الملك إلا حرمانه من وريث لعرشه ، إذ كانت امرأته لا تلد ، وقد بلغت الأربعين وبلغ الملك الحسین دون أن يكون لهما بنت أو غلام ، فكان المنتظر أن يؤول العرش بعده إلى أخيه إذا أمهله الموت ، أو إلى أحد الأجانب ، إذ أن أخاه مثله محروم من الأطفال .

وقد جعل الملك جائرة عظيمة لمن يكون سبباً في دفع العقم

عن زوجته وزوجة أخيه . ولكن جميع محاولات الأطباء
والسكان ذهبت أدراج الرياح ، فلم يبق أمام الملك وأخيه إلا
أن يتزوجا من جديد . وفيما هما يفكران هذا التفكير ، والمرأتان في
غم وضيق ، وأهل المملكة جميعاً في اشتغال بهذا الأمر الخطير ،
هبط المدينة طبيب من الشمال ، سمع بالغابة ونباتاتها ، فقدم
ليجمع منها بعض النباتات الطبية . ولما دخل المدينة وجد أهلها
مهمومين مغمومين ، لأن الملك وشقيقه سيختزان زوجتين بدل
زوجتيهما المحبوبتين من الشعب كله لطيفتهما وعظفهما على
المساكين ، فعرض ذلك الطبيب الشمالى استعداده لمداواة
العقم ، ففرح الناس وتوجهوا إلى الإله بالدعاء .

واستجاب الله دعاء الشعب فحملت الزوجتان في ليلة واحدة
بعد طول العقم والحرمان . ولما وفتا الأيام وضعت زوجة الملك
طفلاً ذكراً ، وزوجة أخيه وضعت أنثى ، فأقام الملك الأفراح في
طول المملكة وعرضها ، وأطعم الفقراء والجياع ، ولبست المدينة
حلة زاهية من الزينة أربعين ليلة كاملة .

وقد سمي المولود «تاسو» وسميت المولودة «تيتى» واتفق الملك
وشقيقه أن تكون تيتى لتاسو ، ويكون الملك لندريتهما جيلاً بعد جيل .

مرت السنوات والطفلاق ينموان حتى بلغت سنهما العشرين
واعتزم الوالدان أن يفرحاهما في حياتهما ، وأن يشهدا زواجهما
فأعدا العدة لإقامة الأفراح ، وذهبت الرسل لاستحضار المغنين
والملهين من أطراف المملكة ، ليكون هذا العرس عيداً جميلاً
يفرح به الشعب كله ، ويظل مذكوراً على الأيام .

ولكن إرادة الله كانت غالبية ، فاجتاح البلاد مرض وبأى
وافد ، ذهب ضحيته الملك وشقيقه وزوجتهما ضمن ألوف
أخرى كثيرة من السكان . فلبس الناس الحداد على موتاهم ،
واغتم تأسو وتيتى لفقد والديهما ، وأصيب الشاب بالمرض ،
ولكنه نجا ، فقام منه منهوكاً مهدوداً .

وبغير احتفالات ولا زينات تولى الملك مكان أبيه ، وجعل
همه مقاومة الوباء الطارىء بجميع الوسائل ، وتمكن بعد مضي
عامين من القضاء عليه ، وإراحة الناس منه ، فارتفعت أكتف
الناس بالدعاء له ، وزادوا تعلقاً به .

ولما اطمأنت القلوب وهدأت الأحوال قال مشير الملك
الراحل للملك الشاب : « يا مولاي . لقد من الإله عليك بالشفاء
من المرض الذي حصده الأرواح ؛ وقد ابتهج أهل المملكة

بنجاتك ، فيحسن أن يتم الابتهاج بعقد القران، حتى يرزقك الله بولى عهد تقر به عينك، كما أقر الإله بك عيني والدك الراحل فوجدناك عند ارتحاله ذخراً لنا وسنداً ؛ وأنت تعلم يامولاي أن والدك العظيم كان يحضر للعرس لولا هذا الوباء المشؤم « فرد عليه الملك الشاب مستحسناً فكرته وأشار بالتهيؤ لإقامة الأفراح والاحتفالات على النحو الذى أمر به والده ، لتقر عينه فى قبره بتنفيذ رغباته ، بعد أسبوع من الزمان .

ولما سمعت تبنى بهذا النبأ طار قلبها فرحاً ، فقد كانت مشغوفة بابن عمها حباً ، ولكن الحياء كان يمنعها من إظهار هذا الحب الذى يملك عليها تفكيرها .

لقد مر هذان العايمان كما تمر القرون والأجيال . وكانت قد نضجت أنوثتها، وفتحت رغباتها، فكانت تحلم بذلك اليوم السعيد الذى تتحقق فيه أمانيتها التى عاشت فى نفسها منذ أن تبنت لوجودها ، وعلمت أنها خطيبة لولى العهد وابن عمها المحبوب .

كانت حياتها كلها وأحلامها جميعاً تتلخص فى هذه الرغبة التى تنمو يوماً بعد يوم ، كلما شاهدت خطيبها الشاب تسكتمل رجولته ، وتبدو عليه مظاهر الفتوة وأمارات القوة ؛ فلما بلغها

النبأ كادت تجن من الفرح ، ولكنها خجلت فتوردت وجفتهاها
وانهمرت من عينيها الدموع . أما الأمير فلم يكن ميله إليها
إلا بمقدار الألفة التي تنمو بين طفلين خطيبين .

باتت الأميرة ليلتها لم تذق للنوم طعماً . لقد كانت عشرات
الصور والمشاهد تتوالى على حسنها وهي في شبه غيبوبة لذيدة ،
وكانت تفتح عينيها فلا ترى شيئاً . لقد كانت مشغولة باستعراض
الرؤى الجميلة التي تنبع من نفسها وتردح في خيالها . كانت تحس
بأشتات من الأحاسيس الغريبة التي لا تدرك لها تفسيراً ولا
تعرف عنها تعبيراً ، فتدعها تمر على حسنها متتابعة متمازجة ، وهي
كالخدورة بين الأحلام اللذيذة .

وأصبح الصباح فوجد الملك الشاب في نفسه ميلاً إلى
التجوال في الغابة كأنه هايقاً يدعو إليها ، فأمر بإعداد العدة
للصيد ، وخرج مع الحراس ورجال الحاشية — على عادته حينما
يعتزم هذه الرياضة المحبوبة .

كان الربيع قد وافي ، فاكثت الأشجار بالأوراق الخضراء
وازهرت أعاليها وأطرافها بالنور المختلف الألوان ، وسمعت أصوات
اليمام فيها والطيور المغردة على اختلافها ، وانطلقت الأرناب البرية

والغزلان تقفز وتمرح ، وقد اكتست أجسامها بالشعر الجديد الزاهى ، وبان فى وثباتها المرح الداخلى النشيط .

وكان الملك الشاب يحس فى نفسه شوقاً غامضاً مجهولاً ، وحنيناً تائهاً عجيبيّاً ، تنطق به كل ذرة فى دمائه ، وكل خالجة فى شعوره . كان يتململ فى جلسته على ظهر حصانه ، فيغادره ويقفز ليسير على أقدامه ، يمسك بأطراف الأشجار المتدلية ، ويغرس طرف رمحہ فى جذوع الأشجار ، ويقطف بعض الأزهار ليتأملها برهة ثم يقذف بها على مد الذراع ؛ ثم يعود إلى صهوة جواده ، وقد شعر بشيء من الراحة لتصرف هذا المذخور فى بنيته من القوة والمراح . وللقدر المقدور وقع نظره وهو فى هذه الحالة على فتاة ترعى بضع شياه .

لقد بهت كأنما سمر فى مكانه . كانت فتاة مشوقة القوام ناضرة الوجه ، فى عينيها كل معانى الربيع . كل شئ فيها متفتح كالوردة الناضجة : صدرها الناهد ، ونظرتها الجاهرة ، وبشرتها الملوحة ، ومشيتها المتوثبة ، ولفتاتها السريعة . . أحس الشاب أن هذه الفتاة هى إحدى ظبيات الغابة أيقظها تفتح الربيع ، وأنضجتها حرارته وانفلتت من كناسها تبعثر ما تجمع فى كيائها من رصيد الحياة

المذخور ، فوقف إزاءها ساهما مدهوشاً مأخوذاً . وأحست الفتاة أن نظرات الفارس الجميل تقع على كل موضع فيها ، وتنفذ في ثناياها ، فأرخت أجفانها من الحياء ، وتفترت مفاصلها ، ودب فيها خدر لذيذ .

لم تكن الفتاة تعلم أن الفارس الجميل الذي يلقي عليها هذا الوابل من النظرات النفاذة هو ملك الإقليم . فقد كان من عادته أن يتزيا — حين يقصد إلى الصيد — برى فارس من الحرس حتى يكون طليقاً في رياضته ، وحتى يتخفف من شارات الملك وتقاليده البلاط . لقد كان بطبعه ينفر من هذه القيود التي تثقل كاهله ، وتحد من نشاطه وهو في فورة الشباب الوثاب ، فما إن تعرض له فرصة من هذه الفرص حتى يلقي عن نفسه هذه المراسم والطقوس ، فيحس أنه خالص من ربقتها ، وصار إنساناً له كل حقوق الإنسان . وكان يحرم على مرافقيه من رجال الحاشية ما دام في هذه الرياضة المحبوبة أن يخاطبوه بمراسم الملك لأن هذا كان يرده إلى أُنْقال المراسم ، ويذكره بضيق القيود التي خرج يتخفف منها ويفرج على نفسه من ضيقها !

فلما وقف أمام الفتاة مبهوراً مأخوذاً ، وطال هذا الموقف حتى

لحظه مراقبوه ، تذكر نفسه ومركزه - على الرغم من تنكره
وتخفيه - فأراد أن يستر الموقف المكشوف ، فسأل سؤالا ساذجا
متحيراً : أهذه أغنامك ؟

قالت الفتاة - وقد توردت وجنتهاها - ! نعم هي أغنامي
وأنا أرهاها لأن والدي عجوزان .

قال الفارس العاشق : وهل تسكنون قريباً من هنا ؟
قالت : إن لنا كوخاً على حافة الغابة .

فاطمأن الشاب لذلك ، ورأى أن يختم الموقف بحركة سريعة
لم يتهيأ لها بتدبير أو تفكير . فألقى إلى الفتاة بصره نقود بين يديها
ولوى عنان فرسه ومضى يركضه ، والفرسان من خلفه ، وهو في شبه
غيبوبة ، لا يدري له وجهة ، ولا يكاد يملك جسمه على ظهر الفرس .
وأفاقت الفتاة بعد انصراف الفارس الجميل كما يفيق الخالم
من حلم لذيق ، وأحست كأنما كانت غائبة عن الوجود ، ثم هاهي
ذى ترد إلى مكانها الذي تعهد ، وأمامها شويها تترعى لم تكن
تحس بها أو بما حولها متذحين . ونظرت فإذا غبار ثائر في أعقاب
كوكبة من الفرسان ، فتعلق نظرها بهذه الكوكبة وارتدت إلى
غيبوبتها الخالمة ، وكأنما في هذا الغبار الثائر رؤيا مجنحة تحفها

التهاول العجيبة . . . حتى إذا اختفى المشهد تنفست نفساً عميقاً بعد ما أمسكت أنفاسها ، وهى تتطلع إلى الغبرة الشائرة من بعيد .

ووجدت نفسها تبتسم منفرجة الأسارير ، وتقلب فى يديها هذه الصرة المربوطة ، وكأنها حجر سحري يشيع فى جسمها الاهتزاز ، ثم تحاول فكها وهى لا تقصد هذه المحاولة ، فتتفتح عن قطع صفراء ذات رنين .

يا لله ! إنها من الذهب ! إنها نقود !

وبهرتها هذه النقود الذهبية التى لم ترها من قبل إلا فى أيدى كبار الأثرياء ، وشغلها بريقها لحظة عما فى نفسها من الشعور المبهم الغريب . ولكن ما لبثت هذه الصرة وما فيها أن اتصلت فى نفسها بهذا الشعور المبهم الغريب !

وفجأة رأت نفسها تسوق شويهااتها عائدة إلى الكوخ ، وهى لا تدرى لماذا تعود !

وأطلت من الكوخ عجوز معروقة ثم ارتدت إليه ، وعادت بشيخ عجوز ، جعل يحدق هو والشيخة فى الفتاة العائدة والشويهاات أمامها وهى تسوق .

قالت الشيخة : ما الذى يجيئ ساسو فى هذه الآونة المبكرة ؟
قال الشيخ : لابد من مكروه . لقد كنت أحس صهيل
خيل فى الغابة ، فلعلهم قطاع الطريق من الأعراب المتهمجين
قد هجموا على الرعاة كما يفعلون .

قالت الشيخة : يا ساسو المسكينة ! ويا لخوفى عليها ! لظالما
قلت لك : لا تخرج ساسو إلى الغابة بعد ما صارت فى هذه
السن ، فإني لأخشى عليها ما هو أشد من سلب الأغنام !
قال الشيخ : إن ساسو شجاعة فلا تخشى عليها شيئاً . إنها
ابنة أبيها أيتها العجوز !

قالت : ابنة أبيها أو ابنة أمها ! لن تخرج إلى الغابة مرة أخرى .
وكانت ساسو قد اقتربت تخطر وكأنها تطير ، وأساريرها تنطق
بالبشر والسرور ، وأسرعت الأم تقول فى لهفة — وإن يكن
مظهر الفتاة قد بعث إليها بشيء من الطمأنينة — : ماذا يا ساسو ؟
وفوجئت الفتاة بهذا السؤال كأنها لم تكن تتوقعه ، فاضطربت
وتواردت على خاطرها أشقات من الصور ، وقفت عند صورة
منها فتوردت وجنتاها ، ونكست بصرها إلى الأرض ، وأجابت
فى حياء : لا شيء . يا أماه . أحس فى جسمى بفتور .

وكانت لشدة ما نالها من الاضطراب قد اختلجت أوصالها
 في هذه اللحظة ، وأحست بالأرض تحت قدميها تدور . فألقت
 بنفسها على صدر أمها التي أسرع إليها تحتضنها في ذعر شديد .
 وتعاون الشيخان على إدخال فتاتهما إلى الكوخ ، وهي مفترقة
 الأوصال ، مضطربة النبض ، لا تدري أهى مريضة حقاً أم أن
 ذلك شيء جديد ؟ !

واعتقد الوالد أنها ضربة الشمس أصابت الفتاة ، فجعل يولم
 نفسه أن عرضها لرعى الأغنام ، واعتزم أن يعفيها منذ الغد من
 هذه العملية الشاقة ، ولو أنه محطم مهدود .

أما الأم فإن شعوراً داخلها كان يوسوس لها بأن هناك شيئاً
 غير عادي قد مس الفتاة اليوم ، وإن لهذا الاضطراب سرّاً غير معلوم .
 ولم يعسر على الشبيخة أن تعلم من فتاتها كل شيء بعد قليل ،
 وأن تتناول صرة الذهب فتذهب بها مغضبة إلى رجلها ، وتقذفها
 في حجره بشدة ، وهي تقول : ألم أقل لك إن ساسو لم يكن
 يجوز أن تذهب إلى الغابة منذ بعيد ؟

وفوجيء العجوز بهذا الذهب يتوهج في حجره ، وبهذه الصبيحة
 تلقيها العجوز في سمعه . ما هذا وما ذاك ؟ وما علاقة الذهب

بالصباح ؟ .. واختلياً عن ساسو وراحا يقرران أمراً لا تدريه ..
وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الثانية قالت :

... ونرجع يا مولاي بالحديث إلى الفارس الجميل . فنجد أنه قد
دار دورة أو اثنتين في دروب الغابة ومنعرجاتها ، مندفعاً كأن
قوة سحرية تدفعه إلى وجه غير معلوم ؛ حتى إذا انتهت الدفعة ،
الجمهولة ، ووقف الركب من خلفه ، وقف ساهما لا يدري أين يذهب
ولا كيف يروح أو يجيء . ثم إذا به يلوى عنان فرسه ، ويكر
راجماً إلى مكانه . ورجال حاشيته من الخلف لا يفكرون أول
الأمر ، ولكنهم ينتبهون بعد فترة إلى اضطراب حركات الملك
وإلى أنه يذهب ويجيء في غير قصد مرسوم .

وحينما يبلغ الركب مكان الفتاة والأغنام يتلفت الملك هنا
وهناك فلا يجد أمامه شيئاً ، وينخطف قلبه ويدق دقات سريعة
ويهم أن يسأل أحداً من رجال الحاشية عن الفتاة التي كانت
هنا منذ لحظة ؛ ولكنه يحس بقسوة المراسم وضغط التقاليد .
ويتحول شعوره المكتوم هذا إلى حركة جامحة يدفع إليها فرسه

فتشق الطريق في عنف وقوة ، وكأنا هو يخرج بهذا الانطلاق
الجامح من ربة القيود والتقاليد !

وبعد جولات طائشة في دروب الغابة ومنحنياتها، يعود الملك
فيلوى عنان فرسه نحو القصر خارجاً من الغابة في صمت خفيف .
لم يبق شك في نفوس رجال الحرس أن هناك شيئاً ، وأن
الملك قد وقع في نفسه شيء ؛ ثم لم يجرو منهم أحد على السؤال
فسار الجميع خلف الملك الصامت صامتين . ولما ترجل ليدخل
قال لرجاله : ليله سعيدة . سأخلو بنفسى ، فانصرفوا أنتم جميعاً .
وكان هذا التصرف كافياً ليثبت في نفوسهم ما خالجه من
قبل ، فراحوا يتخبطون في الظنون .

وأمر الملك ألا يدخل عليه أحد في جناحه الخاص إلا حين
يستدعيه ، ورأى رجال القصر وحراسه وخدمه ما يعلو وجه
الملك من جد صارم ، فأجفلوا في نفوسهم ، وراحوا يتوجسون .
وعند ما حان موعد العشاء لم يكن الملك قد استدعى أحداً
ولم يكن أحد يجرو على الدخول . ومضى الموعد وتوغل الليل
وكل من في القصر ساهر ، وكلهم في عجب شديد .

وأحس الملك بالتعب وهو جالس بملايس الصيد منذ أن عاد

ويده تحت دقنه ، وهو شارد الفكر ساهم النظرة ينظر بعينيه ،
ولكن خياله يمتد إلى بعيد ، فقام في تشاقل واسترخى على مقعد
طويل ، وأطلق لخياله العنان يذهب حيثما يريد .

وأطل القمر متلصصاً من النافذة في أول الأمر ، ثم أعلن وجوده
وأحس الملك كأنما هذا القمر يلاطفه ويؤانسّه ويستدرجه
للحديث ، فسرى إلى نفسه الأُنس به والارتياح له ، وتحركت
شفته كأنما يهم أن يفصح للقمر عما يريد .

وأحس بشوق غامر إلى أن يخرج إلى الشرفة حيث القمر
هنالك يهمس بصوته المسحور ، وتختلج خطواته في ديب لطيف
وما إن تجاوز باب الحجرة حتى اشتمله النور ، فأحس كأنما
يعانقه ، فد إليه ذراعيه في شوق شديد .

كانت الشرفة تشرف على فضاء رحيب يقوم على نهايته
طرف الغابة الفسيحة ، وسرعان ما امتد نظره إلى الغابة الساجدة
في ضوء القمر الهادي اللين ، فخيّل إليه أن الفتاة الآن هناك
في هدأة القمر الحالم ، فأغض عينيه وراح يذب في جوارها : يده
في يدها وذراعه تطوقها ، وهي تميل برأسها الصغير على كتفه
فيتوقفان برهة عن السير ، ثم يفتح عينه فيستيقظ ويفيق : إنه

هنا في الشرفة وليس هنالك في الغاب المسحور !
 وفي الهزيع الأخير أحس أنه منهوك ، فألقى بكرة معدنية في
 طست من النحاس ، فانتبه الخادم الحارس مذعوراً ، وهرب يلبى
 دعوة الملك ، وحينما واجهه بهت وسمرفى مكانه . . . لقد كان
 الملك لا يزال في ملابس الصيد منذ الصباح .

قال الملك : في الصباح الباكر أضحو ، حيث تكون فرسى مهيأة .
 ولا يتبغنى إلا « حور » .

فأما سامو فكانت قد آوت إلى فراشها الخشن على القش
 الذي كان مهيأ لمرقدتها في الكوخ ، على حين ظل الشيخان
 ساهرين يقلبان وجوه الرأى فيما يعترمانه منذ الغد : فراراً بسامو
 من هذا الخطر المحيق !

استلقت الفتاة على هذا القش لتمام ، وإنها لتنام كل ليلة نوما
 لا حركة فيه ، ولا سيما بعد أن عهد إليها برعى الشويهاة في الغابة ،
 فالتعب والحركة والهواء النقي والدم الفائر ، كل أولئك كان يهتف
 بها إلى النوم بمجرد أن يصل جنبها إلى الخدع على هذا القش الوثير !
 أما الليلة فإن هنالك في نفسها أمراً يشغلها عن النوم اللذيذ . . .
 إنها في شغل باستعراض حوادث الصباح ورؤاه العجيبة . . .

هاهى ذى تجلس على متكأ من العشب الجاف وشويهاتها أمامها
 ترعى فى منفرج من الغابة . وهاهو ذا الهواء الدافى يداعب
 أغصان الأشجار الباسقة فتتايل كالنشوان التمل . . . ثم هاهى
 ذى تسمع صهيل الخيل وترى الغبرة الثائرة . وهاهى ذى
 شويهاتها تجفل فترتد إليها كأنما تلوذ بها من هذا الضجيج . وهنا
 تقف متطلعة ، ثم تتبختر فى بضع خطوات . . . ثم . . . ثم ها هو
 ذا الفارس الجميل . . . إنها لتحس الآن بوقع نظراته الساخنة
 تتخلل جسدها كقشعريرة . تحس بذلك الحذر اللذيد المرتعش
 تحت نظراته . وإنها لتتحسس فى جسمها الفأزم واضع هذه النظرات
 فتتمطى ، ثم تفتح فاهها بتهدة لنيذة ، ثم يرتد خيالها إلى الغابة
 فتستعرض المنظر كله من جديد .

وأطل القمر من كوة الكوخ الصغيرة ، فانتفضت من أحلامها
 الجميلة ، كأن هذا القمر يتلصص عليها فى خلوتها ، وضمت ساقها
 المنفرجتين وذراعيها المتراخيتين . . . ولكنها ما لبثت أن أنست
 بهذا القمر الذى يوصووص لها من كوة الكوخ ، وودت لو تخرج
 من مخدعها إلى الفضاء الرحب ، إلى هذا الانفساح الحالم الغارق فى
 ضوء القمر الشفيف . . . وودت لو تخرج لتنطلق فى هذا الفضاء غير

الحدود، ولتجري وتركض، بل لتحاق وتطير كهذه الفراشات
 البيضاء السابحة في ضوء القمر... ولكنها تسمع وسوسة الشيخين
 كأنما لا ينامان أبداً... وكاد صدرها يضيق بهما وبيتة ظمهما تلك
 في هذا الأوان... ولكنها كانت في شغل عن الشيخين؛ ولم تكن
 أحاسيسها تستقر لحظة على فكرة معينة؛ فعادت تحلم حلم اليقظان
 من جديد، وتستعرض نظرات الفارس من جديد، وتنتظر الصبح
 في شوق جارف، فالصبح هو الذي يطلقها من حدود هذا الكوخ!
 ولم تدر كيف تسلك النعاس إلى مخدعها برفق، فأغضض بأنامله
 الرفيقة جفونها الساهرة، ثم تسلك مرة أخرى وتركها للأحلام
 اللذيذة، وعلى شفقتها ابتسامة وضيفة، تسمع في محياها الجميل.
 وفي الصباح كان أمر الملك قد أعلن في القصر، وكان حور
 يتبع مولاه منفرداً كالكلب الأمين... يتبعه في صمت مطبق،
 فالملك لا يعلن وجهته ولا ينطق بكلمة واحدة تهدي إلى اتجاهه.
 ولكن هاهو ذا يلوى عنان الفرس إلى الغاية، فيحدث
 الحارس عما يريد، ويتذكر حوادث الأمس، ويستعرضها
 واحدة واحدة، ويطليل الوقوف عند منظر الملك الشاب يحادث
 الفتاة الراحلة... ولكن ماذا؟ إن المعدات لتتخذ لزفاف الملك

الشاب على الأميرة المرتقبة... أترأه لا يذكر الموعد والاستعدادات
على قدم وساق ؟ !

ودار الملك دورة بالغابة ، ثم انطلق يجوس خلالها ، ويتفقد
منفرجاتها وحناياها ، وقد أخذ الرعاة يفدون . والملك يتطلع إلى
كل قطيع وافد ، ويلاحق ببصره الرعاة في المنعطفات . . .
وشيثاً فشيثاً يبدو على الملك الضيق والانفعال ، وتتوالى على
وجهه شتى الانفعالات ، فيركض فرسه هنيئة والحارس وراءه ،
ثم يقف فجأة ، ويلوى بعنان الفرس في اتجاه آخر ، كالذى يبحث
عن صيد شارد في الغلاة .

وتنقضى على هذا الكر والفر ساعتان ، ينهك فيهما الفرسان
والفارسان ، ويبلغ القلق بالحارس أن يهم بسؤال الملك عما يريد ،
فلا يجسر على السؤال والملك على هذه الحال . . . وبينما هو يفكر
على هذا النحو إذا بالملك يمرق بالفرس ، فيخرج من الغابة كلها
وينطلق إلى تلك الأكواخ المتناثرة على حفاقي الغابة ، فيخرج
منها نسوة مع أطفال في أسماهم البالية وهيئاتهم الرثة ، يتطالعون إلى
الفارسين هنيئة في وجوم وذعر ، ثم تلعو وجوههم أمارات الرضا
والاطمئنان . فالفارسان ليسا من الأعراب الفتاك .

ويجول الملك بعينيه في هذه الوجوه يستعرضها جميعاً . . .
ولكنه لا يجد بينها الوجه الوحيد الذى يبحث عنه في طرقات
الغابة ومنعرجاتها ، ولو كان يعرف اسم صاحبتها لسأل ، ولكن
ما جدوى السؤال ، وقد عاقته أثقال الملك وتقاليده عن السؤال في
حينه المناسب ، فأفلتت منه الفرصة . . . ربما إلى آخر الزمان ؟
وأحس الملك أن الدنيا ترم على صدره وتضعفه ، حتى ليكاد
صدره أن يتمزق ، فخبط جبينه بكفه ، وندت من فيه الكلمات
بغير حساب !

— لقد ضاعت . . . ضاعت إلى الأبد . وضاعت معها الحياة !

هنا وجد حور من الجرأة ما يسأل به الملك :

— من هى التى ضاعت يا مولاي ؟

قال الملك :

— الفتاة . . .

وأدرك حور كل شئ ، وأعوزه أن يجد ما يقول ؛ فلقد كان
يود لو يذكر الملك بالعرس المرتقب في نهاية الأسبوع ، وبالأميرة
المنتظرة ، وبالقصّة كلها . . . ولكن وجه الملك لم يكن يشجع
على شئ من هذا كله . فقال حور على غير قصد منه :

— ربما وجدناها في الغابة يامولاي !
 وأحس الملك أن كوة من الرجاء تنفتح في قلبه ، وتمسك
 بهذه الكلمات كأنها اليقين الذي لاشك فيه ، فقال — وهو يلوى
 عنان فرسه إلى الغابة — :

— لأن كانت هناك يا حور ، لتكونن من الغد كبير الحراس !!!
 وانطلقا .

وأدرك شهر زاد الصباح . . فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة قالت :
 تركنا الفتاة يامولاي ساجحة في أحلامها الجميلة ، وقد أغمض النوم
 عينيها بأنامله الرفيقة . ولكن الفتاة ما لبثت أن سمعت ضجة
 وجلبة ، فاستيقظت ملهوفة . . . لقد خيل إليها — وهي بين النوم
 واليقظة — أنها في الغابة ، وأنها ضجة الخيل . وتوسمت من بين
 كوكبة الفرسان وجه فارسها الجميل !
 ولكن ماذا ؟

إنهما الشيخان . . . فماذا يصنعان ؟
 إنهما يقوضان أركان السكوخ المنعزل ، ويحزمان متاعهما

القليل الذي يحويه . . . وهماذان يوقضان ساسو في عجلة . فإن
هنالك لأمرأ . .

وريعت الفتاة وتوجست في نفسها شراً .

— احلى ياساسو هذا الحمل فإنه نصيبك !

— واسكن إلى أين يا أماء والدنيا لم تزل في الظلام ؟

— إلى أين ؟ ليس هذا من شئون الفتيات . إننا راحلون

ياساسو ، راحلون وكفى ! راحلون إلى الشمال ، فاعاد لنا عيش في
هذه البقعة من الأرض بعد أن كان بالأمس ما كان !!!

وغصت الفتاة بريقها ، ودارت بها الأرض ، واختنقت في
فيها الكلمات . ولكنها انحنت على الحمل فرفعته ، كما انحنى
الشيخ والشيخة على حليهما . . وانطلق الثلاثة في غبش الفجر ،
وأمامهم الشويهاات ! . . إلى الشمال .

ولما كان الوالد خبيراً بالدروب والمسالك منذ رحلته الأولى
إلى الجنوب ، فقد تنكب الطريق لمسلوك ، حذراً ، وحيطاً ،
إلى مسالك أخرى لا يمر بها إلا الخبراء ! .

وسار الركب الطليح : الشيخ الماني والعجوز المعروقة يديبان
على الأرض كالنمل ، والشويهاات يطول عليها السرى وتشتد

عليها الهاجرة قتهزل وتضعف عن المسير ، وساسو تسير كالذي
يقاد إلى الموت ، ويخطو على الشوك . وكلما خطت بقدميها خطوة
تلقت قلبها إلى الخلف لفتات ... إلى الكوخ العزيز ، وإلى الغابة
المسجورة . إلى هنالك حيث الحلم الذي أشرق في حياتها لحظة ثم
غاب . إلى الرؤيا المجنحة التي لازالت ترفرف هناك ... !

— إلى أين ياساسو ؟ إلى أين أيتها المسكينة ؟ إلى أين يراد
بك ، وهناك في الغابة حلمك الجميل ؟ ... ومضت ليلة إثر ليلة والركب
العاني يسير ، والشيخ الفاني يبدو عليه الملل ، فإذا الشيخة المعروقة
تتشدد لتصخب على الشيخ وتمور :

— أتراك كنت باقياً هنالك حتى تفسد علينا ساسو ؟ لو كان
من لداتها لتركنا الأمور تسير ، وأقلنا : نظرة فخطبة ، فعرس ..
ولكن هذا ! هذا الفارس الثرى الذي يلقى بهذه الصرة من نقود
الذهب كما يلقى بالحصى . أتراه يتزوجها زواج الشرفاء الأحرار ؟
أم تراه يسرقها من بيننا بنقوده الذهبية حيث تغدو ساسو
الشريفة خلية في عداد الرقيق ؟ .. أقول لى : تعبنا وهلكنا ؟
النار ولا العار أيها الشيخ الخرف . النار ولا العار . أليس كذلك
أيها الرجل الشريف ؟ !

ثم يعطو ذلك الركب السكيل . حتى تدركه الهاجرة
فيستظل ويقيـل .

فأما الملك — يا مولاي — فقد لوى عنان فرسه إلى الغابة
كما قلنا وخلفه تابعه الأمين ، وكانت الشمس قد أوشكت أن
تتوسط السماء ، ودار بها دورة ودورة قبل أن ينظر حور إلى
وجه مولاه ، فيرتجف ، ويلو وجهه الاصفرار . . إنه الشر !
فإن تعود الأمور منذ اليوم تسير كما كانت من قبل تسير !

وكررا راجعين إلى القصر، فإذا الهمس الحذر يتلصص في جميع
جوانبه، والأميرة العروس قلقة تتطلع من نوافذ قصرها في طرف الميدان
الآخر، تترقب عودة العريس الشاب الذي ستزف إليه بعد أيام
قليل، ثم هي لا تعلم فيم يذهب إلى الغابة منذ يومين؟ وفيم يبـيـت
ليلته لا يخلع ملابس الصيد؟ وفيم يخرج اليوم منفرداً لا يتبعه إلا حور؟
ألا إنه لأمر!... ولكن أولاً تعلم العروس الحبيبة هذا الأمر؟
ولم يستطع أحد وهو يرى وجه الملك العائد أن ينـبـس بكلمة
حتى آوى الملك إلى جناحه الخاص؛ ثم استدعى تابعه الأمين حور
فكلفه أن يتخفي في زى الرعاة، ثم يتحسس من خبر الفتاة بين
الأكواخ، دون أن يشعر أحداً بتحسسه .

وانطلق حور ينفذ أمر مولاه ، وبقى الملك ينتظر ، ولكنه لم ينتظر ساكناً ولا صابراً . لقد ظلت عشرات من الصور والخيالات تغزو نفسه وخاطره ، وكان بهش لها جميعاً ، إلا خاطراً واحداً أسود كان يرتجف له كيانه :

— ترى قضى الأمر كله فلا لقاء بعد اليوم ولا اجتماع ؟ !
ولكنه سرعان ما كان يهرب من مواجهة هذا الخطر الأسود حتى إذا ألح على خاطره حرك يده بعنف كمن يطرد شيطانا مساوراً ، ثم قام يتمشى في اضطراب ، أو يطل من الشرفة وهو يخطو خطوات مرتجلة لا هدف لها ولا اتجاه .
... ثم عاد الرسول !

لو أن صاعقة انقضت على رأس الملك في هذه اللحظة لكانت أخف وقعاً ...

— لقد رحلت ساسو مع أبويها إلى حيث لا يدري أحد من الرعاة !

ساسو ... ما أحلى هذا الاسم الجميل . ساسو وتاسو . ما أحلى اجتماع الاسمين . أتراها الأقدار قد وقعت هذا التوفيق العجيب بين اسم في القصر واسم آخر في الكوخ ؟ . . ولكنها رحات !

رحلت ؟ — إذن هي حية — وهذا يكفي . وهنا تنبثق في صدر الملك أشعة الرجاء ... ولكن منذ يدريه أنها لن تصاب بمكروه في الطريق ؟ ثم منذ يعلمه مكانها الآن أو بعد الآن ؟ ! ولم تمض ساعة حتى كان الملك يستدعى كبير وزرائه — وهو مشير أبيه — لينهى إليه أمراً :

— تبطل مراسم العرس . وتوقف جميع الاستعدادات .
وقال الملك :

— وتنوب عني أيها المشير المخلص في سياسة الرعية ، حتى أؤوب من رحلة لا أدري مداها . فإذا أنا لم أعد فالملك لك ولأبنائك عن جدارة واستحقاق !

وصمت الملك كأنما هذه آخر كلمة تقال !

ولكن المشير الذي يدل عليه بالتربية والرعاية لم يسكت . فالأمر جد ، ومن واجبه أن يرد الملك عما يريد ، ومن حقه أن يعرف على الأقل ماذا يريد .

قال المشير الشيخ :

— يا مولاي . أليس لي بحكم خدمتي الطويلة لأبيك من قبل ، وحتى إخلاصي لك أنت من بعد ، أن أقول كلمة ؟

قال الملك :

— بل تقول كل ما تريد أيها المشير الأمين .

قال :

أليس لى أن أسأل : فيم هذا كله ؟ وفيم هذه الرحلة المجهولة المدى ؟ وفيم ترويع الشعب الذى يحبك ويتطلع إلى شبابتك ؟ وفيم — على الأخص — ترويع الأميرة التى تنتظر اليوم السعيد منذ سنوات ؟

قال الملك :

لقد وددت أن أفصح لك — أيها المشير الناصح — عن هذا كله ، بحق ما لك على وعلى أبى من حقوق . ولكننى لا أملك هذا الآن . وكل ما أستطيع أن أقول لك : إننى لم أعد صالحا لشيء من هذا كله ، إلا أن تتحقق لى أمنية واحدة هى التى أرحل فى سبيلها هذه الرحلة المجهولة . . .

وصمت الملك برهة وبدا على عينيه أنه يحجب بخياله آفاقا بعيدة ثم قال :

— الحياة هناك . هناك أيها المشير المخلص . هناك حيث لا أدري أين تكون !

وغلب عليه التأثر ، فتغرغرت عيناه بالدموع . . .
وتهياً الملك الشاب يا مولاي للرحيل . الرحيل إلى حيث
لا يدري . ولكنه تزيأ بزى التجار ، وأمر فأعدت سرا قافلة
محملة بالزاد والمتاجر من بضاعة الجنوب ، يصحبها جماعة من الخدم
والحشم ، وعلى رأسهم حور حارسه الخاص ، الذى كان وحده
يعلم سر الرحلة ولا يموح .

ولما كان المشير شيخا محجرا بأريبا ، فقد خاف إن هو أشاع
بسفر الملك فى مثل هذه الرحلة الغريبة أن يحدث ذلك رجة
فى المملكة لا تحمد عقباها ، فاتفق مع الملك ألا يعرف أحد
بالخبر ، وأن يعلن فى القصر أن الملك مريض ، وأن الأطباء قد
قرروا ألا يدخل عليه أحد حتى يشفى . . . ورجا بهذه الحيلة أن
يدبر الأمور حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا

وعند ما حان الفراق ودع المشير مليكه ووربيبه ، والدموع
تبلىل شيمته الوقور ؛ ثم تماسك ليواجه العباء الضخم الذى
سينهض به منذ الغد وهو شيخ كبير .

أما الشعب فقد شاهد قافلة تمر بالمدينة إلى الشمال كاتوافل
الكثيرة التى تهبط فى الحين بعد الحين . وعند ما أعلن إليه

في الصباح نبأ المرض الخطير، خطفت القلوب، واهتزت الأعصاب
وتوجه الناس بالصلوات والدعوات أن ينجي الإله الملك ... ثم
انصرف كل إلى شواغله ليرتزق منها ويعيش !

بقي قلب واحد لا يطمئن إلى هذا الذي يقال ، ولا يرضى
بالحيلولة بينه وبين من يهواه . ذلك هو قلب الأميرة تيتي . . .
فما بال الملك الشاب ينقلب بين الصبح والمساء من الصحة
الموقورة ، والشباب المنصور ، إلى المرض الداهم والداء الخطير !
وما بالها تحجب عن الملك المريض وهو ابن عمها القريب وخطيبها
الحبيب ؟ أو ممكن أن يتم هذا الانقلاب كله ما بين يوم وليلة ؟
ثم ما بالها لا ترى وجه حور تابعه الأمين ؟ لقد قيل لها :
إنه بعث في رحلة إلى الصحراء لإحضار بعض العقاقير النباتية
التي أشار بها الأطباء . ولكن هذا كله لم يكن ليطمئن فؤادها
المضطرب ، أو يأخذ طريقه إلى قلبها المتوجس . لقد ظلت
هواجس سوداء تندس في نفسها وتوسوس في صدرها : إن
هنالك لأمرأ . وإنها لا تدري ما الأمر ، ولكنها تحس أنه شيء
آخر غير الذين يقولون !!!

وعندما غادرت القافلة حدود المدينة وجد الملك نغمه يعرج

على الغابة دون قصد . فمتبعه حور مشيراً إلى سائق القافلة أن
ينتظروهما عند العدو الأخرى ، والملك فى شبه ذهول عما يجرى
خلفه من أمور

وسار التاجران تحملهما بغلتان فارهتان يجوسان خلال الغابة ،
ويطوفان بمنعرجاتها ، ويتدسسان فى منحنياتها . . . وفجأة ينتبه
الملك من ذهوله ، فيلتفت إلى تابعه ليقول :

— ما هذا الذى نضنع يا حور ؟ لماذا نجوس خلال الغابة
كلمشردين ؟ ألم ترحل ساسوعن الغابة ؟ فلماذا نضيع الوقت
فى هذا التجوال السخيف ؟ !

وصمت حور برهة لا يدرى كيف يجيب . ثم تتم :
— لقد رأيتك يا مولاي تسير ، فأشفقت أن أتركك وحدك ،
فسرت خلفك ، لأحرسك وأفديك !
قال الملك :

— رعاك الإله يا حور . ما أشد إخلاصك وما أحسن أدبك .
عد بنا إلى الخارج . وأين القافلة ؟
قال :

هى تدور بالغابة لتنتظرنا هناك على عدوة الطريق !

عدوة الطريق !... وكأنما فوجيء الملك بهذه الكلمة ! فما الطريق ؟ ما الطريق التي انتوى أن يسلكها ؟ إلى الشمال أم إلى الجنوب ؟ إلى الشرق أم إلى الغرب ؟ إنه لم يسأل نفسه هذا السؤال ، ولم يطرحه عليه أحد وهو في هذه الحال . فما كان في موقف يسمح لأحد أن يسأله : إلى أين ؟

إنه يريد الحورية الهاربة ، تلك التي مرت كالخلم في حياته ثم أدركه الصحو فلم يجد أثراً لطيفها الجميل . يريد هذه النجمة التي لاحت له فحسبها ملك يديه ، ثم إذا هي تبعد في الأفق حتى تغيب ، وتتركه قائماً في مكانه لا يدري كيف يذهب ، ولا أين الطريق ؟

أين الطريق ؟

وأين ذهبت هي ليدري ما الطريق ؟ شرقت أم غربت ، وانحدرت إلى الشمال أم أصعدت في الجنوب ؟

ثم التفت إلى حور :

— أو لم يقل لك أحد أين توجهت : إلى الشمال أم إلى الجنوب ؟

ونكس حور بصره وهو يقول :

— لا يا مولاي . لقد حاولت أن أجد أحداً يكون قد
أبصر بها وهي ترحل ، فلم أعر على أحد يعلم عنها شيئاً... ولكن
شبحاً كبيراً في السن قال : إنه يظن أنهم قد اتجهوا إلى الشمال لأن
آثاراً في الرمال تتجه إلى هناك... ولكن هذا كله حدس وتخمين !
— إلى الشمال . إذن هيا بنا إلى الشمال . فإن قلبي وحده
دليل . ثم تنهد وهو يقول .

— إن قاي يا حور ليشم رائحتها كما تشم القطار ريح الماء من
بعد سحيق... إلى الشمال ؟ هيا بنا إلى الشمال . هيا بنا قبل
فوات الأوان... وانطلق كالحمام !

وبينما كان الملك والقافلة معه تجوب دروب الصحراء
ومسالكها المطروقة ، كان المجوزان والفتاة يقطعان الدروب
الخفية ويتنكبان الطرق المألوفة ، حتى بعدت الشقة بين الركبين ،
ولم يعد ثمة مجال لالتقاء

وصمتت ساسو طوال الرحلة الكئيبة ، وخبا في عينيها ذلك
البريق الذي خطف قلب الملك ، وشاخت الفورة التي كانت
تتنزى في كيائها كله ، وخيم على نفسها اليأس والظلام ، وأحست
أن حياتها لا تساوي أن تعاش ، بل أحست بالعطب يدب إلى

كيانها كله ، كالثمرة الناضجة التي لا تجد من يقطفها في اللحظة المناسبة ، فتعطب ويدب إليها الفساد .

فلما استقر بها وبأبويها المقام في النهاية على مرعى من مراعى الصحراء المتناثرة ، بجانب خيام لبعض الأعراب هناك ، عرفت نهاية المطاف ، وآوت إلى صمت كثيب خفيف ، لم تفلح العجوز الثائرة أن تخرج فتاتها منه إلا إلى نحيب مؤلم ، وإلى تأفف نائر ، لا تلبث الفتاة ان تهرب على إثره من وجه العجوز البائسة لتخلو إلى الهم المطبق المقيم

واتصلت العلاقات — بعد قليل — بين الشيخين والأعراب المقيمين حول المرعى . ولققت ساسو الجميلة نظر شاب من الأعراب الضارب بين في الخيام ، ففتن بها قلبه منذ النظرة الأولى ، ولكن طابع الحزن القائم حز في قلبه ، فألحى على نفسه إلا أن يضم هذه الفتاة الحزينة إليه ، ليملاً حياتها بهجة وحبوراً .

وحدث أبويه بما يجول في نفسه — وأبوه شيخ القبيلة —

فوافقاه ، وتقدما يخطبان ساسو من أبويها . ولما كان الشيخ يدرك أمر الفتاة كله ، فقد أشفق أن يحبيب ، ولكنه كان محرجاً فهو نزيل في جوار شيخ القبيلة ، ولن يأمن رده خائباً بعد ما أسلف

إليه من جميل . . . عندئذ نفص يده من المسألة وأحالها على
زوجه وابنتها . . .

وراحت الأم تتلطف في نقل الخبر إلى الفتاة ، وتثنى على
الفتى الذى يتقدم لخطبتها خطبة الشرفاء وما سمعت
الفتاة خلاصة الحديث حتى أحست لأول مرة بعد الرحلة المشثومة
أنها تملك لسانها ، فاندفعت ثائرة كاللبؤة الجريح ، ترفض
وترفض وترفض ، وتنحى على الأم والأب بلا ترفق ولا تخرج
وتسب الرحلة المشثومة التى ساقتها إلى هذا المكان ، وتعلن فى
تأكيد قاطع أنها لن تكون لأحد من الأناسى ، وإذا لم يكن
بد من أن تكون لأحد ، فلتكن لوحوش الفلاة أو كواسر الجو
أو دود التراب !

وانطوت على نفسها بعد الثورة الجارحة ، وراحت تنشج نشيجاً
متواصلاً ، وجسمها كله يرتجف ويهتز ، والعجز البائسة تنسى ثورة
الفتاة وجوحها لتضمها إليها ضمّاً رقيقاً ، تسكن جأشها ، وتهدىء
روعها ، وتعدّها فى حنان بالغ أنها لن تجبر على شىء ، وأنها طليقة
من كل ضغط ، فهتأ الفتاة رويداً رويداً ، وترقأدموعها المنهلة ،
ويسكن جسدها المضطرب ، ويأخذها النوم فى حجر أمها فتنام !

فأما الشيخ وضييفه فقد سمعوا ، سمعوا كل شيء ؛ فما كان
الخباء الرقيق ليحجب حرفاً ولا نبرة مما دار بين الأم والفتاة ،
فنظر بعضهم إلى بعض ، ثم هم الضيوف بالانصراف معذرين
للشيخ الفاني ، وإن لم تسترح ضماؤهم لهذا الجوح من فتاة !

وأما الملك الشاب فقد انطلق في الأيام الأولى مؤملاً راجياً
في قلق واضطراب . فلما انقضت الأيام وطال عليه الأمد وكثر
تطوافه بالصحراء وارتداده الريف ، يراوح بينهما لتبيع القافلة
بعض ما تحمل من بضاعة ، وتستعيض عما ينقص من الزاد والماء
في الرحلة الطويلة . . . عندئذ أخذ اليأس يدب إلى نفسه وهو
يطرده فيلح عليه ، وكلما امتدت الرحلة نضب معين الرجاء ،
وحل مكانه في قلبه ذلك الجذب المقفر الموات .

وطال الحال . وانقضت ستة أشهر طويلة مئمة . فخبأ في نفسه
كل بريق ، وانطمس في قلبه كل رجاء . ولكنه كان منساقاً
إلى البحث والتجوال ، لا يدرك ما أصاب رجاله من الإعياء ،
وما أصابه هو نفسه من البلى . لقد كان يحف كما يحف العود ، يحف
بدنه ويحف قلبه ، وتدب الشيخوخة الباكرة إلى كيانه وهو لا يدري .
لقد أصبح قطعة ميتة من هذه الصحراء الجاثية الجرداء . . . !

وفي ليلة من الليالى وقد طلع القمر على الصحراء الوسيعة
 الفسيحة ، طافت بنفسه الذكرى : ذكرى الليلة الأولى التي
 أشرف فيها على الغابة من شرفة القصر ، فتسى نفسه يومها ونسى
 القصر والملك ، وأحس أنه هنالك في الغابة يسير والخورية
 الفاتنة ترافقه ، والقمر وحده يشهد جولتهما في قبة السماء . . .
 وتهد في جوف الليل بحركة حتى لكاد صدره أن ينشق ،
 وأخذ ينشج نشيجاً حاراً متواصلاً ، والصمت من حوله مطبق
 والقمر وحده يشهد في صفحة السماء . . .

هنا أحس حور بشهقة الملك فانتفض مستيقظاً ، وتقدم إلى
 الملك ، ناسياً جميع ما بينهما من فوارق . تقدم إليه كما يتقدم
 الصديق للصديق ، يعطف عليه ويواسيه . واتصل قلب الملك
 بقلب تابعه الأمين ، فأخذ يبثه لواعج نفسه في إسهاب ، وبلا
 كلفة ولا احتياط .

واقترح حور أن يقوما بجولة وحدهما في هذه القمراء ، لعل
 السير والسمر يفرجان عن نفس الملك الحزينة ، فما كان أسرع ما لى
 الملك الاقتراح . وسارا على هينة واثناد ، وأخذها الحديث
 الطويل ، والقمر المنير .

لقد كان الملك يقص على حور قصة حبه جميعاً . وكان يصف له كل خاطرة وكل انفعال . وكان يستعرض معه اللحظات القصار التي مرت عليه في حبه ، وكأنما هي دهور طوال لفرط ما ازدحمت بالأحاسيس واللفتات والملاحظات والانفعالات . وما كان حور لينطق بشيء إلا أن يجيب على سؤال ملهوف من الملك : ترى نلقاها كرة أخرى ؟ فيتكاف الرجاء والثقة ، ويجيب في تأكيد وتشديد : لا بد . لا بد يا مولاي ... ! وهنا تفتتح للملك أبواب الرجاء على مصاريعها ، وكأنما هذه الكلمات التي ينطقها حور تعاويز سحرية تفتح له أبواب الرجاء ! وأوشك الصبح أن يشرق ، فانقبه العاشق المسحور ورفيقه المبهور ، وعلموا على حين بغتة ، أنهما قد أبعدا في الصحراء ، الصحراء الجبارة التي يتوه فيها الدليل . وانتفضا كمن يبغت بالخطر ، وإن لم يعلما بالضبط أنهما قد أوغلا في التيه وحينما راحا يتحسسان آثار أقدامهما ليعودا أدراجهما كانت الريح قد عفت على هذه الآثار ، وكان أمامهما أن يضربا في الصحراء على غير هدى ، ياتمسنان العودة إلى محط القافلة على غير جدوى ... !

وانقضى اليوم الأول فى بحث مضمّن بين الرمضاء فى الصحراء
والفرع المستولى على الخاطر ، واليأس من الاهتداء للقافلة فى
التيه ، واليأس الأكبر من الأمل الأكبر ، والعطش الذى
يجفف البدن ويشوى الاعضاء .

وتحنن الله عليهما فى اليوم الثانى فإذا سحابة تظلل الشمس ،
وما تلبث أن تمطر ، فيوجد الماء . الماء العزيز الثمين . وحينما يعبان
ويرتويان يعاودهما الأمل فى الحياة ، وينفتح لهما باب الرجاء .
وبعد قليل يستشرفان قافلة عن بعد ، فيتحاملان على أنفسهما
ويجريان إليها هاتقين بأعلى ما تصل إليه أصواتهما . ويجدان
عند القافلة شيئاً من الزاد كما يجدان ما هو أعظم : يجدان الهداية
إلى الطريق ، فلقد مرت القافلة بالقوم يبحثون عن رجليهما
الغائبين ، فهى تدلّهما على أقرب طريق إلى قومهما ، وتزودهما
بالقليل من الزاد والماء ، فينطلقان على هدى حتى يصلوا فى نهاية
اليوم ، وقد أوشك القوم على اليأس من عودتهما سالمين .

هنا يجد حور من الشجاعة ما يسأل به الملك : أوليس من
الخير أن يعودوا إلى مملكتهم بعد ستة أشهر طوال فى التجوال ،
ويدعوا الأمر للمقادير ، فقد توقعهما إلى ما يريدان من أقصر

الطرق ، إن كانت قد قدرت في حسابها اللقاء ؟ !
ويقول الملك : الحق معك يا حور . لقد أنعبتك وأنعبت
رجالك ، فامضوا أنتم إلى هناك في رعاية الإله ، ودعوني هنا
وحدى ، فما عاد لكم في خير ، ولا عاد لي في نفسى أمل . فإما
اهتديت إلى من أريد ، وإما أكلتني وحوش البرية ، أو أهلكني
الجوع والعطش ، فأستريح من هذا العذاب الذي أقاسيه !
ويأبى حور على الملك ، ويظل يتلطف معه أياماً وليالي ،
ويحدثه بالعبر ، ويقص عليه من السير ، ويعرض له حوادث
الفرج بعد الضيق ، واللقاء من أقرب طريق ، حتى يلين جراح
الملك ، فيقبل العودة ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .
وكرت القافلة عائدة ، وكلما خطت خطوة إلى الأمام تلفتت
عين الملك وقلبه ، وأحس بالهزيمة والانكسار . لقد كانت عودة
القافلة عودة الجيش الهزيم المنكسر يجلله الخزي واليأس ، وكانت
الجمال قد هزنت كالرجال ، فكان ينجم على الجميع جو من الهمود
والوحشة والكلال .

وأيقن الملك أن الحلم المشرق البهيج الذي لاح له في حياته
فترة قصيرة قد مضى وانطوى ، وأن « ساسو » الجميلة ليست

سوى طيف عابر أشعل قلبه وهز روحه ، ثم ارتد عائداً إلى
الجهول ؛ فأحس أنه لم تعد له صلة بهذا الكون الغريب ، ولا
علاقة بهذه الدنيا الموحشة ؛ أحس أنه من عالم آخر لا علاقة له
بهذا العالم المحسوس . من العالم الذي لاح له فيه ذلك الطيف
العابر ثم غاب .

وفكر مرة ومرة والقافلة تقرب من المدينة أن يعود على عقبه ،
أو أن ينفلت متخفياً فيهم في الصحراء التي تمتد إلى آفاق غير
محدودة ، تشبه التيه الذي تهم فيه روحه ، بما فيه من وحشة وظلام
ولكنه كان يجد نفسه منساقاً مع القافلة ، لأنه لم تعد له العزيمة
التي تقرر التخلف والانفراد .

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة الرابعة قالت شهرزاد :

عاد الملك يامولاي أخيراً إلى مقر ماكنه . عاد بلا قلب . عاد
إنساناً آخر لا أمل له في شيء ، ولا رغبة له في شيء ... لقد
شاخ وشاخت رغباته . فلما استقبله المشير متهللاً مبتهجاً بعودته
إلى ملكه وعرشه وشعبه ، وعرض عليه أنه سيشتيع منذ الغد نبأ

شفائه ، فتدق الطبول وترفع الأعلام وتقام الأفراح و... و...
أشار إليه بيده فى يأس :

— لا داعى إلى شىء من هذا كله . فالذى عاد اليوم جسد
هامد قد فارقتة الحياة !

ووجم المشير الشيخ وانطمست فى قلبه كل أشعة الفرح ،
وسأل فى يأس وانكسار :

— ماذا إذن يامولاي !

أجاب الملك :

— يبقى كل شىء على حاله . وتظل أنت فى تصرف شؤون الرعية .
وليعلم الناس أن لى شأنًا آخر يصرفنى عن الملك كله وعن الناس !
قال المشير :

— لن يصلح الأمر هكذا يامولاي . فالشعب لن يفهم هذه
الألغاز ، ولن يصبر طويلا على هذه الحال !
قال الملك

— إذن تصرف فى الأمر كما تشاء . . .

وآوى إلى مخدعه الذى فارقه منذ زمان . دون أن يعلم أحد
شيئًا . وذلك بحكمة الشيخ الرزين .

لم تعد للملك حياة . لقد كان محمقاً فيما قال . لقد عاد جسداً هامداً فأفاقته الحياة . عادوا لهم يحثم على صدره فيتراخى ويهمد ولا يحاول المقاومة . وعجز «حور» كما عجز المشير الشيخ أن يجدا لداء الملك علاجاً ، وسقم جسمه ، وهذه المرض ستة أشهر طوال . إلا أن خاطراً مضيئاً قد التمع ذات يوم في نفس حور ... فإذا هو يقترح على الملك أن يخرج للرياضة في الغابة ، فقد تعاوده الصحة . ومن يدري . فقد يتراءى خيط من رجاء !

وكأنما كان الملك يسمع وحياً من السماء . فانتفض نشيطاً وأبرقت أساريه للخطر الجديد . ولم تكن إلا لحظات حتى أعلن في أرجاء القصر ، وفي أرجاء المملكة ، أن الله قد منّ على الملك بالشفاء ، وأنه في دور النقاهة ، وقد نصح له الأطباء بالتجول في الغابة ليستنشق هواءها المعطر ، حتى تكمل له عافيته بإذن الإله ! واجتمع الشعب في الساحة الواسعة ، وقد استخفه النبأ بعد الانتظار الطويل ، وتهياً الملك وتابعه للخروج ، وقد كاد ينتصف النهار ، في الوقت الذي جاء فيه رسول الأميرة الشابة المعذبة يعلن عن رغبتها في مقابلة الملك بعد طول الاحتجاب ، وشوقها الذي لا يوصف بعد الغياب

وكاد يفسد التدبير كله ، فما كاد يسمع باسم الأميرة حتى
تمثلت له القصة كلها ، وحتى ثارت كوامن أشجانه جميعاً . لولا أن
تلطف حور مع الملك حتى ينفذ رياضته ، وتلطف المشير مع رسول
الأميرة لتؤجل الزيارة إلى أن يتم للعليكم الشفاء

ولما خرج الملك من القصر دوّت الساحة كلها بالهتاف الحار
والدعاء الخالص ، وارتجت جوانب المدينة بالحركة ، وانطلقت
الأسنة بالحديث . وكان يوماً مشهوداً في حياة المملكة ، وظل
الهاثف يدوى والملك في الطريق .

ولما قرب من الغابة هجمت عليه الذكريات ، وخفت صوت
الجاهير في أذنه ، وارتفع صوت واحد محبوب جميل ، يتسلل إلى
أذنه ، كأنما ينبعث من سماء بعيدة ، ومن وراء الغيب السحيق :
— نعم . هي أغنامي . وأنا أرهاها لأن والدي عجوزان ...

إن لنا كوخاً على حافة الغابة ... وظل هذا النغم المستسر العميق
يتردد على سمع الملك كلما خطا خطوة وهو غائب عن الوجود ،
وأساريره تنفرج كما يحلم الطفل حلماً وضيئاً فينسم في النوم الهنيء
حتى إذا كان في مهبط الحلم الأول انتفض كالمباغت المفجوء ،
وانفجرت شفتاه ينادى في لهفة واجفة :

ساسو! ساسو! أنت هنا ياساسو؟ ثم يرتفع صوته فجأة بنداء صارخ عنيف ممطوط ، يردده الصدى في الغابة كلها : ساسو... فيرتاع حور ، ويظن بعقل الملك الظنون ، ويغير موقفه خلف الملك فيواجهه في شجاعة ترده إلى اليقين :

— مولاي ! يحرسك الإله ! أين ساسو يا مولاي ؟ ادع الإله أن يردها عليك ، إنه سميع مجيب !

ويفيق الملك ، فيدركه الحياء . ثم ينظر إلى حور فيقول :
— إنها هنا يا حور . قلبي يحدثني أنها هنا... إن قلبي لا يكذبني . أشم رائحتها . أشمها في نفسي وحسى . إنها هنا بلاشك... ثم تجحظ عيناه ، ويبدو في هيئة المجانين ، وينطلق صائحاً :

— ألم أقل لك : إنها هنا يا رفيق . انظر ها هي ذى ساسو . ها هي ذى ساسو . ساسو . ساسو . أنت هنا . أنت هنا...
ويقذف بنفسه عن ظهر الفرس ، ثم يعدو كالمجنون !

وينظر حور إلى حيث ينطلق الملك ، ويسمع من حيث صار الملك . فيدركه الدوار ، ويمسك رأسه بيديه من الدهش... إنها ساسو حقيقة . وهى بين أحضان الملك تعمغم : « وأنت

هنا أيها الفارس الجميل . ثم يغيبان عن الوجود !
كان الشيخان قد رحلا عن المكان بساسو فما عاد لها عند
شيخ القبيلة جوار . . . وكان الهم الذي ركب ساسو يحز في
نفسهما فيدركان يوماً بعد يوم أنهما قاتلان ، وهما يريانها تدبل في
كل يوم وتذوى ، وتنطفئ شعلة الحياة في كيانهما الجميل
وثقل الهم والشيخوخة على الوالد فقارق الحياة ، وترك الصبء كله
على عاتق العجوز فلم تطقه طويلاً ، وآثرت أن تترك ساسو وحيدة
في هذا العالم ، وتذهب إلى العالم الآخر بعد طول النصب والإعياء
ونظرت ساسو فإذا هي وحيدة في الصحراء . فخطر لها في
ساعة من ساعات الضعف أن ترتد إلى خباء شيخ القبيلة تعرض
نفسها على فتاه . . . ولكن العزة أدركتها . بل أدركها رجاء
آخر . رجاء جنوني ، ولكن الحب يزينه ويقرب آماده .
— أما إنها لتعودن إلى الغابة . فستجد الفارس
الجميل هناك !

تعود إلى الغابة ! وأنى لها أن تعود ؟ تعود وبينها وبين
الغابة تلك المفاوز والمهالك ، وهي فتاة وحيدة لا علم لها بالطريق
ولا معين لها في الأسفار ؟

ولكن الحب لا يعرف المستحيل . وإنها لتسير وتسير .
 فهي تعلم أن الوادي في الغرب ، فلتكن الشمس هي الدليل .
 وكاد أن يدركها العطب مرات ، ولكنها كانت تنجو .
 فلما بلغت الوادي كانت قد استحالت صفراء غبراء هزيلة ، وهي
 في روق الشباب .

وهوت إليها الأفئدة ، فوجدت طريقها في مركب إلى مملكة
 تاسو . . . ووجدت قدميها تقودانها إلى الغابة في الصباح الباكر
 بعد اليأس من العودة إلى مهبط الحب الأول . ولكن ها هي
 ذى تصل إلى الغابة فلا تجد الفارس الجميل ، فتتهار أحلامها
 وتهدقواها ، وينكشف لها الوهم عن الخيبة المرة الأليمة . وإنها
 لتكاد تتردى تحت تأثير الصدمة القاتلة ، فتتهالك مهددة لنوام
 حيث كانت يوم التقت بالفارس الجميل . وفي النوم تعتادها الرؤى
 البهيجة ، فتري الفارس الجميل يخال بفرسه الجميل ، وتسمع صوته
 العذب القوى النافذ يناديها . فتجري إليه كالجنونة . . ثم تصحو
 فإذا هو طائر من طيور الغابة يحاق إلى بعيد . . وتجد في نفسها
 الانس والبشر بالحلم الزاهب والطائر الميتعد ، وتحس طأنيته
 عجيبة وشوقاً كذلك جارفاً ، وتجد في كيائها نشاطاً موفوراً

وتحس بحاجة شديدة ملحّة إلى أن تغنى أو تبكى أو تطير !
 وكانت الشمس قد ارتفعت حتى كادت تستوى في كبد
 السماء ، والدنيا ربيع كالربيع الأول الذى اجتمعت إبانة بفتى
 الأحلام ، والدفع المنعش يفترا الأوصال ، ويشيع فيها خدراً
 لذيذاً أشبه بنشوة السكر اللطيف ، والطبيعة كلها تتفتح
 كالعذراء الناضجة تداعبها أشهى الأحلام

وتطلعت الفتاة هنيئة إلى الطبيعة حولها في فتور ، ثم تمطت
 ونشرت ذراعيها في الفضاء ، ثم هبت واقفة . ونظرت كالذى يستشرف
 أفاقاً بعيدة ، وإن كانت في الواقع لا ترى إلا الحلم الوضى الجميل
 ثم مرت لحظة . . . ثم كان ما كان . . .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح



فلما كانت الليلة الخامسة قالت :

عاد الملك إلى قصره وقد تبدل إنساناً آخر ، متهلل الجبين ،
 متوفر القوة ، جم النشاط . عاد ورفقته الحورية التى أطلعها في
 حياته الأحلام ، وردتها إلى حياته الأحلام ، فلم يعد يصدق إلا أنه
 في حلم من الأحلام .

فأما « حور » تابعه الخالص الأمين فكان يعلم من القصة كل شيء ، وأما مشير الملك ورجال الحاشية فلم يكونوا قد عرفوا بعد جليلة الأمر . لهذا دهشوا وهم يرون الملك عائداً وقد أردف خلفه فتاة من الرعاة ! . . . أتكون هي الصيد الذي خرج الملك إلى الغابة يبعثه ؟ !

لقد عقدت الدهشة ألسنتهم جميعاً ، وزادت دهشتهم حينما رأوا ملكهم يترجل ليد يده إلى فتاة الغابة ، فيساعدها على النزول وإن لم تكن في حاجة إلى المساعدة ، فقد انفلتت عن ظهر الفرس كالظبي النافر ، وإن كانت ما تزال تبدو عليها آثار التعب والهزال وكانت الكلمة الأولى التي فاه بها الملك للمشير ، والدنيا لا تكاد أن تسعه من الفرح الجارف المتوثب في حركاته ونبراته :
/ — لقد وجدتها أخيراً . لقد وجدت الحياة !

ثم أشار إلى حور إشارة خاصة فهم منها كل ما يعنيه . ولم تمض لحظات حتى كانت فتاة الغابة في الحرم ، في طريقها إلى الحمام ، تنهياً للحياة التي نسجتها من خيوط الأحلام . ولم يبد على المشير الشيخ أنه يفهم شيئاً من هذه الألفاظ ، ولكن الكثيرين من رجال الحاشية فهموا كل شيء ، وصدقوا

ظنونهم التي نبتت في أذهانهم منذ اليوم الأول ، فأدركوا قصة الملك جميعاً .

وقال المشير :

— لم أكد أفهم شيئاً يا مولاي !

فوجد الملك في نفسه من الخفة والنشاط والمرح ما يطوق به الشيخ الوقور ، وهو يقهقه في صوت عال ، ثم يقول :

— لم تكذبتهم لأن قلبك لم يعد قادراً على الإيحاء إليك يا عزيزي الشيخ ، تعال أقص عليك النبأ بالتفصيل . .

وانزوى الملك بالمشير في جناح خاص . وترك رجال الحاشية يلغطون ويتعجبون .

وفي الصباح كان المنادي ينادي في أرجاء المدينة يحمل البشرى بتمام شفاء الملك ، ويعلن إليه إقامة الأفراح والزينات ابتهاجاً بهذا الشفاء ، وابتهاجاً بزواج الملك ، فسترف إليه الفتاة التي ردت عليه الحياة ، وعلى يديها كان الشفاء . .

وتسامع الناس بالنبأ العجيب ، فتزاحموا حول المنادي يسمعون مرة ومرة ، وهم لا يصدقون ما يسمعون . . .

إذن لن تكون الأميرة هي العروس ، وإذن ستكون فتاة

الغابة — كما أسموها — هي الأميرة الجديدة . . . وانطلقوا
يتحزبون ويتجادلون ويثرثرون :

فأما فريق منهم فتذمر لهذا الانقلاب الذى يقصى الأميرة
الأصيلة بعد طول انتظار ، ليحل محلها فتاة من الغابة لا يدرى
أحد شيء عن أصلها ونشأتها ، ولا تتطلع طبعاً إلى أن تصبح
سيدة القصور بة التاج . . . ومن هذا الفريق فتيات المدينة
ونسائها جميعاً !

وأما فريق آخر فمستبشر مهلل بهذا الانقلاب ، وفى صميم
نفسه شعور غامض بأن هذا تصرف إلهى يرفع من مقام الشعب ،
ويزيل الفوارق بينه وبين أكبر الرؤوس فى البلاد !

وباتت المدينة تلغظ وتثرثر بمثل هذه الأحاديث ، يرتفع الجدل
تارة وينخفض أخرى ، ويكاد أن يصل فى بعض الأحيان إلى
التصادم والشجار ، لولا أن يبرز عاقل أو عاقلة فيرد الأمر إلى
الهدوء والاعتدال .

وكترت الفروض ، وتعددت التأويلات ، وانتشرت القصص
والأساطير ، حول الحادث الخطير :

زعم فريق أن الكهنة والعرافين كانوا قد تنبأوا الملك الراحل

بكل ما سيكون من شأن وليده الملك الحاضر في يوم ميلاده .
وكانت النبوءة توحى بهذا الذى وقع ، فخطب له الأميرة الصغيرة
ليتمنى تحقيق النبوءة ، ولكن المقدر المسطور ، لا بد أن يقع حتى
داخل القصور !

وزعم فريق أن الأميرة كانت قد قست على امرأة عجوز فقيرة
رأتها تلوذ بطنف القصر من الوابل المنهر ، فأمرت بإبعادها
عن القصر ، حتى لا تشوهه بمنظرها القذر !

وزعم فريق أن فتاة الغابة إن هى إلا إحدى الحوريات ،
عشقت الأمير الشاب وهامت به ، فجعلت تتراءى له فى الأحلام
حتى هام بها فى الصحارى والوديان ، ومرض بحبها ذلك المرض
العضال ، ثم تجسمت له أخيراً فى صورة فتاة الغابة . ولا أحد
يدرى كيف تسير الأحوال !

وبينما كانت الأساطير والأقاويل تملأ حياة الشعب وتعمر
مجالسه ، كانت هناك مخلوقة أخرى تكاد تجن مما يقال . كانت
الأميرة « تيتى » قد سمعت فى قصرها نداء المنادى ، فلم تصدق
أذنيها أول مرة ، فأصغت له ثانية وثالثة حتى ابتعد ، فأرسلت
وراءه إحدى جواريتها تتأكد .

وغابت الجارية قليلاً والأميرة في شبه حمى ، فلما عادت
توجهت إليها الأميرة ملهوفة تسألها عما سمعت كأنها لم تسمع به أول
مرة ، فأخذت الجارية تروى لها وهي تلهث ما سمعته من المنادى ،
وما اقتطفته من تعليقات الجاهير . وبينما هي ماضية في السرد
المتقطع اللاهث ، تقدمت منها الأميرة في غضب هائج ، وأمسكت
بكتفها في عنف ، وهزتها في ثورة ، وصرخت فيها تقول :
— ويحك ! ماذا تقولين يا شقية !

فارتعدت الجارية من الخوف ، وانعقد لسانها من الذعر ،
فدفعتها الأميرة في عنف ، وانطلقت إلى النافذة تسمع أصداء
المنادى من بعيد .

فلما ابتعد الصوت والصدى عادت فألقت بنفسها على فراشها
مهذمة ، وراحت تنشج نشيجاً متقطعاً مكتوماً لاهثاً . ولم تجرؤ
الوصيفات على الاقتراب منها إلا بعد فترة طويلة ، قالت إحداهن :
— يا مولاتى . يجب أن نبعث برسول إلى سراى مولاي
يتأكد ويأتينا بصحيح الأخبار .

وهنا اعتدلت الأميرة ، وكأنما فتح لها باب الرجاء ، ولكن
في هذه اللحظة أدركتها الكبرياء . .

قالت :

— لن أرسل أحداً ولن أنا كد من شيء !

قالت الوصيفة :

— إذا أذنت مولاتي ، فسأتولى أنا الأمر ، ولن يعلم أحد أن الأميرة بعثت تستفسر .

فوجدت الأميرة راحة لهذا الحل ، ومنقذاً من الغضاضة المرة التي تحسها ، ومنقذاً للقلق الجامح الذي يستبد بها . فقالت للوصيفة :

— لا شأن لي بشيء ، فأنت وما تريدن !

وانطلقت الرسل شتى تتحسس الأمر من قريب ومن بعيد ، ثم عادت إلى قصر الأميرة بانظير الأكيد : لقد انتهى الأمر فالعروس تجلى ، والزفاف في الغد ، وقد عجز المشير كما عجز رجال الحاشية عن تحويل الملك عما يريد ، حتى اضطر المشير الشيخ إلى اعتزال منصبه ، فتولاه « حور » ، أحب رجل في المملكة إلى قلب الملك ، وموضع سره فيما خفي من الأمور ودق .

وعلمت الأميرة قصة الملك جميعاً ، فلم يعد خافياً على أحد شيء من تفصيلاتها ، ولم يعد أحد يملك للأمر رداً ، بعد ما انتهت إلى قرار حاسم لا رجعة فيه . .

ومضت الساعات الباقية من النهار، والأميرة في اضطراب، تحاول إخفائه، وفي حركة حائرة لا تستقر ولا تهدأ، ولا تتجه بها وجهة معلومة. وأقبل الليل يمشى وثيلاً كالحمار هيباً، فانفردت الأميرة في حجرتها، وأقصت عنها الوصيفات والجواري، كأنما تفر من مواجهتهن وهي هزيمة كبيرة...

وبدا لها أن الفلك قد كف عن الدوران، وأن الليل قد جثم في مربضه، يتطلع إليها بألف عين وعين، ويغمز لها غمزات السخرية والنكاية والإذلال... وأحست بالحصى تتمشى في مفاصلها، وتصعد إلى رأسها فيفور، وشعرت بأن شعرها يتناثر ويقف، فضغطت رأسها بكلتا يديها، وقامت متفرعة تذرع الغرفة الواسعة في شبه جنون.

وظلت هكذا تروح وتجيء، وأفكارها مشتتة كخطواتها لا تستقر على وضع، ولا تركز إلى فكرة، حتى أحست بالإعياء فاستلقت مرة أخرى في كلال.

وكأنما أدركها النوم، فاذا هي ترى فيما يرى النائم أنها مع ابن عمها الشاب في خلوة رائقة، والقمر يطل عليهما من النافذة. وبينما هما كذلك إذا بفراشة صغيرة ترفرف في الفضاء ثم تقرب

من النافذة المفتوحة ، فيتوجه إليها نظر الشاب . . . ثم إذا هي تكبر وتكبر حتى تصير في حجم النسر الكبير . وإذا هي تطوق الملك ، ثم تنطلق به من النافذة في الفضاء ، والأميرة تحاول أن تلحق بهما فلا تستطيع . وإذا هي تصرخ مستغيثة . ثم تفتح عينيها فإذا الوصيفات من حولها ، وإذا نور الفجر يوصوص من الشباك !
 وصحت الأميرة مكدودة لتستقبل الصبح الميت ، فإذا الكون كله في نظرها قدمات ، وإذا هي تحس أن ما يفصلها عن الأمس أباد وآباد ، وأن الماضي بعيد بعيد ، وأن الدنيا من حولها شيء غريب ، وأنه لا تربطها صلة بكل هذا الوجود .
 وقالت إحدى الوصيفات :

— ألا تأمر مولاتي باستشارة إحدى العرافات ؟
 وأضاء هذا الخاطر المفاجيء قلب الأميرة ، فشح في عينيها الرجاء ، وأمرت إحدى الجوارى أن تنطلق إلى عرافة شهيرة بالمدينة . . . وماهى إلا ساعة حتى كانت في حضرة الأميرة :
 وقالت لها الوصيفة بعد استقبال حافل :

— إنك ستؤجرين أجراً يغنيك العمر كله ، لو استطعت أن
 تكشفني لمولاتي عما سيتم في الأمر المعروف ، ولو استطعت أن

تساعد عليها على استرداد حقها المسلوب .

وفرشت العرافة رملها، ونفشت في خرزاتها، وتمتعت بتعويذاتها، ثم بدا عليها الأسى والاضطراب . وكانت الأميرة ووصيفاتها قد كتمن أنفاسهن في انتظار كلماتها . . . فلما طال بها الصمت ، قالت الأميرة في غضب تخفيه :

— مالك هكذا صامتة ؟ قولى ما ينبئك به الرمل . كأننا ما يكون .

قالت العرافة :

— رملى يقول يا أميرة . إن الأمور صعبة خطيرة . وإنما الساحرة الكبيرة . هى التى على علاجها قدرة . . .

قالت الأميرة :

— وأين تلك الساحرة الكبيرة ؟

قالت العرافة :

— بين الظلام والرمال . مسكنها في هذه الجبال . فإن أردت كنت القائدة . الليلة لاتضيع الفائدة .

قالت الأميرة :

— أنا تحت أمرك فاصنعى ما تريد !

وقبل أن تتوارى الشمس كانت امرأتان ترتديان لباس الرعاة

وتمتطيان حمارين وتنطلقان من باب المدينة المواجه للصحراء ،
قبل أن تغرب الشمس فتغلق الأبواب ، ولا يسمح الحراس لأحد
بالدخول أو الخروج ، حتى تطلع الشمس من جديد . ووجدت
الأميرة في نفسها شيئاً من التردد ، ولكن نظرة منها إلى الزينات
التي كادت تتم ، والأنوار التي بدأت توقد ، بعثت في جسمها
هزة ، وفي نفسها ثورة ، وملأت قلبها بالغیظ الفائر ، والحمد الثائر ،
والنقمة تود لو تصبها على كل ما في المدينة . فاندفعت بلا تردد .
وانطلقت العرافة والأميرة تجدان السير حتى اجتازتا حدود
الوادي ، فخرجتا إلى الفضاء العريض في الصحراء ؛ ولم يكن القمر
قد بزغ بعد ، فأحست الأميرة بقشعريرة الخوف من الظلام
الضارب على الآفاق ، وهمت أن تكرر عائدة إلى المدينة لولا أن
عاودتها صورة الزينات والأنوار ، وخيالات الملك والقناة ،
فقار الدم في عروقها وامتلاّت عزيمة وإقداماً ، ولم يكن همها في
هذه اللحظة أن تحول دون هذا الزواج فحسب ، بل وددت لو
تحرق غريمتها ولو حرقت حبيبها أيضاً .
ولم يلبث القمر أن أطل على الصحراء المترامية الأطراف ،
فغمرها بضوئه الفضي الشفيف ، وخيم على الكون كله ذلك

الصمت الساحر الذى يبسطه القمر على الأكوام ، فسبحت الأميرة
 فى أحلام غامضة ، لا تبين فيها إلا أطيافاً متراقصة مبهمات السمات ؛
 ولم يكن هناك صوت ولا نأمة إلا وقع حوافر الخمارين فى الرمال ،
 ومالبت هذا الوقع أن غمره السكون الشامل ، فإذا هو نعمة رتيبة
 منسجمة فى موسيقى الضوء والفضاء ، فهدأت فورة نفسها ، وغمرها
 شعور هادىء ، وبعدت عن خيالها صورة المدينة ، وغابت فى
 الرؤى الغامضة التى تتراعى ولا تبين .

وبعد مسيرة ساعتين أدرك الأميرة التعب من مركبها الذى
 لم تعتده ، فهمت أن تسأل العرافة : إلى متى نحن نسير ؟ ولكن
 هذه فتحت فمها لأول مرة تقول :

— ترحلى يا مولاتى فقد دخلنا وادى الشياطين .

وقف شعراً الأميرة وهى تسمع هذه الكلمات المرعبة ،
 وهمت أن تصرخ ، لولا أن أشارت إليها العرافة قائلة : حذار
 أن تفسدى كل شئ ، وأن تهلكينا جميعاً .

وترجلت الأميرة كما صنعت العرافة التى قيدت الخمارين ،
 وربطتهما إلى صخرة ناتئة ، ثم أخذت بيد الأميرة تقودها فى
 شعب ضيق ، لا يكاد يتسع لهما فى المسير ..

وظلت العرافة تتمم بكلمات غير مفهومة ، وتشير بيديها
إشارات غريبة ، والأميرة صامتة قد استسلمت للقدر ، بعد أن لم
يعد يجدى الحذر .

و بعد مسيرة نحو نصف ساعة على الأقدام ، لاح للأميرة كهف
في نهاية الطريق الضيق ، فالتفتت إلى العرافة تستفهم ، فأشارت
إليها بأنه كهف الساحرة ومن معها من المردة والجان ، وهم رقاؤها
في ذلك المكان ! فارتجف كيائها كله ، وتسمرت في مكانها
لاتبرح . ولكن العرافة دفعتها إلى الأمام مشجعة بأنها قد تلت
من التعاويذ والرق ما يضمن لهما السلامة .

و بعد خطوات كانتا على باب الكهف الضيق المظلم حيث
لا يدخله ضوء القمر ، ونظرت الأميرة فرأت على ضوء مجرة في
وسط الكهف ، شبحاً يتحرك مكانه حركة خفيفة ، وهمت
العرافة في أذنها : اتبعيني ولا تخافى .

وسارت الأميرة محنية الظهر خلف العرافة كيلا يصطدم رأسها
بالصخر في سقف الكهف ، فلما صارتا أمام الشبح ، نظرت الأميرة
فإذا عجوز معروقة الوجه ، ضامرة الخدين ، ناتئة الصدغين ، غائرة
العينين ، منتكثة الشعر ، خفيفة النظرات ، كأنها إحدى الجنيات

فارتجفت الأميرة ، ولكن العرافة تقدمت فجثت على ركبتيها ،
وأخذت بطرف الثوب الخلق الذي ترتديه الساحرة فلشمته ، ثم
أخذت من التراب الذي تحت قدميها وحشت منه على رأسها ،
وأشارت إلى الأميرة أن تصنع صنيعها ، ففعلت وهى مأخوذة .
ولما أتمت العرافة هذه المراسيم تناولت صرة كانت قد تسلمتها
من الأميرة ، فدستها تحت الفروة التى تجلس عليها الساحرة ، وقالت :
— قطعنا السهل والجبل . إليك فى الأمر الجليل .

فقالَت الساحرة :

— فات الأوان . فانتظري دورة الزمان . . . !

ثم أشارت إليهما بالجلوس ، فجلسا على الأرض والحجرة بينهما
يفوح منها البخور ، وهى لا تكف عن التمتمة إلا ريثما تردد هذه
الألفاظ المعدودة : فات الأوان ، فانتظري دورة الزمان !
ولما فرغت من التمتمة نظرت إلى الأميرة وقالت :

— ستكونين منذ الليلة شريكى فى الدار . فما عاد لك فى
المدينة قرار . وفى حشاك الحقد والبغضاء . تحرق سكان الأرض
والسما . ولكن فات الأوان . فانتظري دورة الزمان .
وصمتت كأنما هذا فصل الخطاب !

وارتج كيان الأميرة كله ، وجحظت عينها من الفزع ،
وتحرك لسانها في اضطراب .

— ولكنى أريد ألا يتم هذا الزواج .

قالت الساحرة :

— نفذ المقدور . ووقع الحذور . وفات الأوان . فانتظري
دورة الزمان .

قالت الأميرة — وقد فارقها الفزع والخوف ، وغلا في صدرها
الحقد والغيظ :

— أقول لك : أريد أن لا يتم هذا الزواج . أريد الانتقام
من غريمى . بل أريد الانتقام منه . بل أريد تحطيم المدينة
على من فيها !

قالت الساحرة :

— لن يقف في طريقه شيء . فقد انتهى كل شيء .

قالت الأميرة . وهى تجز على أسنانها من الغيظ والحقد والمرارة

— ولكن ...

قالت الساحرة :

— ليس هناك لكن ، فلم تعد تنفع لكن .. انظري واقبرى ...

ودست يدها في شق في الصخر ، فتناولت ورقة بردي ملفوفة
يعلوها التراب وفضتها ! ثم قربتها من عيني الأميرة ، فتطلعت
إليها هنيهة ، ثم ردتها إليها وهي تقول .

— تلك خطوط ورموز ، ولا علم لي بالخطوط والرموز
قالت الساحرة : إذن فاسمعي وأنصتي ، وإذا عرفت فاسكتي :
— « يتزوج الملك تاسو ، من فتاة الغابة ساسو . أما الخطيبة
الأميرة ، فترتد ساحرة شريرة ، تسكن الصخر والرمال ، بين
السماء والجبال . فإذا آن الأوان ، وتعين الزمان . جاءت إليها
فتاة ، في مستقبل الحياة ، عاشقة مهجورة ، كحالة الأميرة ، تطلب
منها الانتقام ، في ساعة الخصام ، فينفذ المقدور ، ويقع الحذور ،
وتسحر المدينة ، فتشتفي الضعينة !... شأهت الوجوه . شأهت
الوجوه . شأهت الوجوه . »

وبنما كانت الأميرة تستمع والساحرة تتلو ، والبخور يتصاعد ،
كان وجه الأميرة ير بد شيئاً فشيئاً ، وسحنتها تنقلب قليلاً قليلاً ،
وجسمها ينتفض انتفاضة الغيظ ، وعيناها تقدحان بالحقد ؛ فما أتمت
الساحرة قولها ، حتى تبدلت تبديلاً غريباً ، فغارت عيناها ، ونتاجاً
صدغاهما ، وانتكث شعرها ، وبدأ في نظراتها الشر ، وتحولت من

صورة الإنسيات إلى صورة الجنيات، راحت تردد بصوت مسموع:
 — يتزوج الملك تاسو . من فتاة الغابة ساسو . أما الخطيبة
 الأميرة ، فترتد ساحرة شريرة . . . الخ. وهي تحشو على رأسها
 التراب ، وترقص رقصات جنونية هستيرية ، في هيئة تقشعر لها
 الأبدان . وما هي إلا لحظة حتى امتلأ المكان بأشباح لاعد
 لها ولا حصر، تحشو على رأسها التراب، وترقص رقصاتها الهستيرية
 وتردد معها الكلمات في صوت مبجوح ، يثير الرعب والفرع.
 فما لبثت العرافة أن خرجت راكضة ، وهي تتلو التعاويذ ،
 والشعب كله يدوى بعزيف الجان
 وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح . . .



فلما كانت الليلة السادسة قالت شهرزاد :
 . . . وبينما كان وادى الشياطين ، وكهف الساحرة ، يدويان
 بعزيف الجان الحاد المبجوح ، وبرقصات الأميرة الهستيرية
 وخدم الساحرة العفاريث . . كانت المدينة تزخر بالزيفات والأنوار
 والجمهير ، وتنطلق في جوها الزغاريد والأغاني والأهازيج ؛ وقد
 نسى الشعب الأميرة وقصتها، واندمج في أفراح الملك وفتاة الغابة ،

وبخاصة بعد أن دعى الجميع إلى موائد الملك في الميادين والطرقات ،
فأكلوا وشبعوا وانطلقوا يهزجون ويغنون ويرقصون . فإذا بقي
من يذكر الأميرة ، فبعض النسوة والفتيات ، يذكرنها بالمطف
والمودة في مقابل ما يذكرن فتاة الغابة بالزراية والغيرة ! ولكن
التيار يجرفهن ، فيشاركن المدينة في أفراحها العظيمة .

أما في داخل القصر فقد كان هناك قلبان يشعان بالبهجة
والمرح والحبور ، ويرفان بالسعادة والنشاط والتوثب ، ويفيضان
بالرجاء والثقة والتطلع ، ويخفقان بالحب والفتنة والانطلاق :
قلب الملك الشاب وقلب الحورية الفاتنة .

وأطل الملك من شرفة القصر على الساحة وبجانبه عروسه ،
فإذا الساحة الواسعة تموج بالمشاعل والناس والزينات ، وإذا
الأغاني والأهازيج والهماتفات تتعالى في الجو القريب ، وتترامى
أصدائها إلى بعيد ، فتلتقي الأصداء المنبعثة من شتى الأرجاء .
فأحس العروسان أن الدنيا كلها ترقص وتهزج وتغنى ، واتصل
الهمزج الراقص ، والنغم الصادح ، بالأهازيج والأغاني الشائعة في
دمائهما وفي كيانهما كله ، فاندججا — على البعد — في ضجة
الجماهير ، وهزج الجموع ، وتيار الراقصين ، ونسima الملك والقصر ،

وأوغلا في حلم سعيد مديد ... ثم أفاقا فارتدا من الشرفة إلى
الخدر ، والأصداء المختلطة تنساب في أسماعهما ، والرؤى المتراقصة
تنبض في خيالهما ، حتى إذا انفردا قليلا غابت الضجة ، وانطوت
الأصداء ، وتفتح لهما عالم أوسع وأبهج ، يرودانه وحيدين ،
ويجوبانه فريدين ، وتترامى بهما آفاقه إلى أبعد مما تراه الأبصار .
وباتا ليلة يا مولاي ، ليست مما تصوره الأقوال ، ولكن مما
يتملاه الخيال ... ثم أصبح الصباح ! ثم تلاه إمساء وإصباح .
والحياة تبسم للعروسين الشابين ، والدنيا تنبض بقلب العاشقين
حتى دار الفلك دورته ، وأوفى العام على تمامه ... وكانت ليلة
همست فيها العروس همسة في أذن العريس ، وفي عينيها إغراء
وفرحة ، وفي نبرتها فتنة وإدلال . ووثب الملك وثبة ألقى فيها
عن عاتقه كل أعباء الملك وتقاليده ، ليرتد بشراً خفيفاً طليقاً ؛
وراح يعانقها في فرح ونشوة ، ويضمها في انفعال وقوة ، وهي
ترده عنها في لطف وإغراء ...

ومنذ تلك الليلة عادت الملكة تعيش بحساب ، وتمحرك
بحساب ، وأصبح القصر ينتظر البشرى ، حين تتم الأيام ،
وقلبان خائفان لا يكفان عن الخفقان !

حتى إذا أوفت الحامل أيامها ، وحانت الساعة المنتظرة ،
 امتلأ القصر بالأطباء والكهنة والعرافين ، واجتمعت « الدايات »
 المشهورات وعلى رأسهن « داية » القصر التي تلقت الملك يوم ميلاده ؛
 وتجمعت الوصائف والجواري في حركة ذاهبة آتية لإعداد المعدات
 للقادم الجديد . والملك في قلق يداريه ، ولكنه يبدو على الرغم مما
 يصل إلى سمعه من الأخبار المطمئنة عن حالة الملكة . ولم تعان
 الولادة شيئاً من شوائد الوضع ، فقد كان جسمها كله سليماً ناضجاً
 نامياً . وإن هي إلا فترة حتى أعلن في أرجاء القصر أن أميرة
 ملكية قد استنشقت أول أنفاسها ، وأن الملكة الأم في أتم صحة
 وأحسن حال ، فانطلق البشير ينادي في أرجاء المدينة بالنبأ
 السعيد ، ووفد العظماء والكبراء على القصر يهنئون ويبشرون ،
 ومدت للشعب الموائد وذبحت الذبائح في كل مكان ، وانقلبت
 المدينة تهزج كما صنعت قبل عام ؛ وإن تكن المولودة بنتاً وليست
 بالغلام ! فقد كان فرح الملك لا يوصف بصحة الأم ونجاتها ،
 ومن فرحه الدافق فاضت المدينة بأفراحها .

وأمر الملك فاجتمع الديوان ، وجيء بالكهنة والمنجمين
 والعرافين ، لينظروا في طالع الأميرة الوليدة ، ويروا نجمها

وبرجها ، ويدلوا بما يتراءى لهم عن مستقبلها .
 وخلا الكهنة إلى هياكلهم ، والمنجمون إلى دفاترهم ،
 والعرافون إلى رملهم ، ثم عادوا ليقصوا على الملك ورجال الديوان
 ما تنبئهم به الأفلاك والطوالع . ولكنهم عادوا يفشاهم الوجوم ،
 ويبدو على وجوههم التهيّب . فقالوا — وكأنما يدارون شيئاً —
 خير يا ذن الإله ، وسعادة في الحياة ونجاة ...

وأوجس الملك في نفسه خيفة ، وأحس « حور » كبير وزرائه
 ومشيريه أن وراء الأمر ما وراءه ، فحاول أن يشير بإمهال الكهنة
 والمنجمين والعرافين بضعة أيام حتى يستوثقوا — وذلك إلى أن
 يدبر الأمر ويعلم السر — لولا أن الملك كان في حالة عصبية ،
 فأمر أن يفضوا بما لديهم حالا ، وألا يخفوا من الأمر شيئاً .
 وتقدم كبيرهم فقال :

— إن الطوالع تشير بأن حياة الأميرة الوليدة ، ستكون هائلة
 سعيدة . ولكن يقع في حياتها حادثان . أولهما واضح ظاهر ،
 والآخر غامض مبهم . وليس لنا أن نقول إلا بما نعلم .
 فأما الحادث الأول فيقع للأميرة عند ما تنضج وتفتتح
 وهو مرض خطير يحار فيه الأطباء ، ويعجز عنه العرافون ، حتى

يجئ من الشمال طيب ، فيشير بالعلاج الحاسم والدواء اللازم ،
ويكون فيه الشفاء بعد العناء .

وأما الحادث الثانى فيعقب الحادث الأول ، ولا تعبر عنه
الأرصاد والطوابع ، إلا بالرموز والإشارات ، وآخر ما تكشف
لنا : أن الأميرة فيه لن تموت ، ولكنها لن تكون فى الأحياء .
ولا علم لنا وراء هذا الرمز والإيماء !

وبدا العجب على وجوه الجميع من هذا الكلام الغامض
العجيب ، وحسب الملك أن المنجمين يخفون عنه ما يعلمونه من
شر سينصيب الأميرة خوفاً وحذراً ، فقال لهم : قولوا كل شئ
ولكم منى الأمان . أما إذا أصررت على الإنكار فلکم التنكيل
والعذاب الشديد .

وأقسم الجميع بين يدى الملك أنهم لا يعلمون شيئاً غير ما قال
كبيرهم ، وأن الطوابع والنجوم لم تفصح لهم عن شئ وراء
ما قرروه ، وأن الغيب غيب ، وعلمهم لا يتجاوز مدى محدوداً ،
فاذا شاء الملك أن ينكل بهم فالأمر أمره ، و لكنهم لن يزيدوا
شيئاً على ما قالوه ، لأنه ليس لديهم شئ لم يقولوه .
وتدخل حور فى الأمر فقال :

— يامولاي إن هم إلا راجعون بالغيب . وقد قالوا ما بدا لهم
فلندع الأمر للسماء ، تدبر الأمر بما كتب وراء الغيوب .
فسكت الملك ، وأشار حور على المجتمعين بالانصراف . وقد
خيم على الجور هبة وسكون .

فلما انصرف الجميع ، وخلا حور إلى الملك ، حاول أن يطمئنه
ويبعث إلى قلبه السكينة ، ولكنه ظل قلقاً تساوره الأفكار
والخيالات ، ويحاول أن ينفذ بخياله إلى ما وراء تلك الأغوار :
كيف لا تكون الأميرة ميتة ، ثم لا تكون في الأحياء ؟
إن هذا إلا حديث مجانين ، أو أن هناك أمراً يخفون . . .
ولكن مرور الأيام ، ونمو الأميرة الصغيرة ، وصحة الملكة
الأم ، جعلت الملك يطمئن ، وإن جعل القلق يساوره بين الحين
والحين ، فيمخبط في الأوهام والظنون .

ومضى الفلك — يامولاي — يدور ، والشهور تعقب الأيام ،
والسنون تعقب الشهور . والأميرة الصغيرة تنمو وترعرع كالزهرة
الندية الجميلة . . . ولكن لا يؤاخيها أحد ، ولا يعقبها مولود ،
كأنها آخر العنقود . وعبثاً ذهبت جهود الأطباء والسكينة في
في علاج العقم الذي لازم الملكة ، فزاد هذا من إعزاز الأميرة

الوحيدة ، وضاعف المخاوف على حياتها ، وظلت النبوءة تعاود
الوالدين في خشية وإشفاق ، على ما كان يبذله «حور» من محاولات
شتى لبث الطمانينة في قلب الملك . حتى بلغت الأميرة السابعة
من عمرها السعيد .

وتقن رجال القصر ونساؤه في رعاية الأميرة ، وإحاطتها
بالمباهج ومظاهر التدليل . فللأميرة جناحها الخاص تحت إشراف
أخلص الوصائف ، وهي تستيقظ في الصباح على نغمات موسيقية
رقيقة ، تعزف في البهو خارج الخدع ، وترتفع شيئاً فشيئاً ، مختلطة
بزقزقة العصفير في الحديقة ، وتغريد البلابل والشحارير في طلعة
الصباح ، وتقترب من مخدعها قليلاً قليلاً ، بينما المباخر والمجامر
تؤرجح الجو بأريجها المعطر ، يتسلل إلى خياشيم الأميرة من الخارج
وينعشها في أثناء يقظتها ، حتى إذا أحست الوصيفات أن الأميرة
قد استيقظت ، تقدمت الوصيفة الخاصة ، ففتحت باب الخدع
لتصبحها بالخير والسعادة . ثم ينقضي النهار بين اللعب والمراح .
وتكر السنوات والأميرة تنمو وتتفتح ، حتى إذا بلغت
الرابعة عشرة نهد ثديها ، والتف خصرها ، واستدار ردفها ،
وتوردت وجنتها ، والتمعت نظراتها ، ونضح فيها الحياء المخدور ،

والرحيق المذخور ، ذلك الذى تودعه الحياة أنثياتها الفاتنات !
ثم تسكر السنوات فتبلغ الثامنة عشرة . ويكون الربيع ،
حينما تنزل إلى الحديقة تقفز وتجرى وتسابق الفراشات الزاهية
الألوان . وتتوجه من أبيها نظرة إلى ملاحظها الفاتنة ترده إلى
ذكرى بعيدة عزيزة . . . إنها ملامح فتاة الغابة يوم أن رآها أول
مرة تخطر وكأنها تطير ، وتمشى وإنها لتتوثب . يوم أحس أنها
إحدى ظبيات الغابة ، أيقظها تفتح الربيع .

ويخفق قلبه خفقاناً سريعاً ، ويشير إلى فتاته فتدنو منه ،
فيحتضنها في حنان ظاهر وولع باد ، ثم يغمر وجهها فى صدره ،
ويربت عليها فى حنان .

وحينما ترفع الفتاة وجهها إلى أبيها تجدد دمة حائرة تترقرق
فى عينيه ، وهو يطبع على جبينها قبلة حارة طويلة .

ويروعيها منظر الدموع فى عينيه ، فلم يسبق لها أن رآته يبكى ،
فترتاع ، وتسأل فى لهفة عما ألم به . وعندئذ يفيق فيبسم لها
ويهش ، ويفصح لها عن سبب اضطرابه ، ومبعث دموعه : إنها
دموع الذكرى الحبيبة إلى نفسه . فلقد رأى فى ملاحظها اليوم
ملامح أمها الجميلة يوم كانت فى مثل سنها ، ويوم التقى بها أول

مرة . إنها ذكرى عهد الشباب الذى لا يعود !
 أما الفتاة فيذكرها الوجوم لحظة . ولكنها تزهى بهذا الاطراء
 المستور لجأها ، فتنتطق من فيها العذب ضحكة رنانة . وهى تقول
 فى دلال جميل وتخابث برى :

— إذن أنت تحبها إلى هذا الحد يا أبتاه ! ولا يزال حبكما
 حيا على مدى الحياة ؟

ثم تنتطق راكضة كالظبي المدل وهى تقول :

— سأذهب حالا لأفشى لها هذا السر الخطير !!!

وأبوها يتابع بنظره وقلبه خطواتها القافزة ، وهو غارق فى حلم
 جميل طويل . وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة قالت :

وكان مساء وكان صباح ، وانبعثت النغمات الشجية والنفحات
 الأريحية ، تتسالى إلى مخدع الأميرة كالأحلام ، وتوقظها من سباتها
 فى رفق . . . غير أن الأميرة لم تنتفض من فراشها خفيفة نشيطة
 طافرة مرحة ، كما تصنع فى كل صباح . بل قالت للوصيفة التى بادرتها
 بالتحية : إنها تحس وعكة خفيفة فى هذا الصباح .

وانتشر النبأ في لحظة فملاً أروقة القصر جميعاً ، وذهب الرسل إلى
 الأطباء في قلق ظاهر ؛ ولم يكن بد أن يصل النبأ إلى الملك فيذعر له ذعراً
 شديداً ، وتفجس مخاوفه وتتضخم ، على الرغم من كل حديث مطمئن .
 فها هي ذى النبوءة الأولى تتحقق ، وإذن فستلحقها الثانية قريباً .
 وتستحيل هذه الوعكة الخفيفة يوماً بعد يوم إلى مرض يشتد
 ثم يستحيل سقماً ، فتذبل الأميرة شيئاً فشيئاً ، وتذوى نضارتها
 قليلاً قليلاً ، وتفقد نظراتها ذلك البريق الفاتن ، وينضب فيها
 الرحيق المذخور ، بعد مضي الأسابيع والشهور .

ويحار الأطباء والسكينة والعرافون والمنجمون ، وتثقل الأيام
 على الملك ، فلا يرى إلا قلقاً مهموماً ، وتحاول الملكة — على ما بها
 من جزع وألم — أن ترد إليه الطمأنينة ، وأن توحى إليه بالصبر
 فلا تجدى محاولاتها شيئاً . إنه يحب الفتاة حباً قوياً عميقاً . يحبها
 مرتين : حبه الأبوي الحنون ، وحبه الذكرى العزيزة في خاطره .
 ذكرى فتاة الغابة في عهد الشباب الجميل .

ويستنفد الوالدان جميع وسائل الطب والعرافة ، والفتاة تذوى
 بين أيديهما وتذبل ، فلا تبقى نافذة مفتوحة للرجاء إلا أن تتحقق
 النبوءة على يدي طبيب الشمال !

ويث حور العيون والأرصاد على كل قادم إلى المدينة من الشمال ، عسى أن يكون هو الطبيب المنظور . حتى يئس الأوان ، ويستدير الزمان ، فيفد الطبيب الشمالى للبحث عن بعض العقاقير فى الغابة ، وما يكاد يبدأ البحث حتى يحيط به العسس فى اهتمام ظاهر ، وحتى يدعى إلى قصر الملك فوراً ؛ فيذعر ذعراً شديداً ، وينكر صفته وغايته ، ويستشفع لديهم بكل عزيز أن يطلقوا سراحه ، فلا يسمع من الجميع إلا قولهم : أنت مطلوب الملك . أنت مطلوب الملك .

حتى إذا وصل إلى القصر وقد سبقته الرسل ، استقبله حور فطمأنه على حياته ، وأنبأه النبأ ، ووعدته أجمل الوعود ، إذا هورد إلى الأميرة عافيتها ، وأعاد إلى المدينة طمأنينتها ، بعد أن خيم عليها الحزن وشم لها الركود عاما وبعض عام .

عندئذ تعود للطبيب طمأنينته ، فيطلب رؤية المريضة ، ويعرف فى الحال مرضها ، ويشير بأن العلاج الوحيد هو هواء الغابة ونسيمها وشمسها وظلالها ، فيجب أن تقضى الأميرة فترة من كل يوم فى الغابة ، تشم هواءها ، وتجول فيها حينما تسمح صحتها بالتجوال . أما فى مبدأ الأمر فيمكن أن تجلس أو أن تتمشى قليلا .

ويهم الطبيب بالاستئذان فلا يؤذن له حتى تظهر نتائج
 علاجه ، وحتى يجد جزاءه من الإكرام والخفاوة . ومنذ الصباح
 الباكر تحمل الأميرة في محفة وهي ذائبة لتستنشق نسيم
 الغابة كما أمر الطبيب ، فتحس له نشوة خفيفة تدب في كيائها
 ويدب معها البرء والعافية . وتستروح هذه النسيمات كأنما
 تعيد إلى نفسها ذكرى ، وتشير في قلبها حنيناً ، وترد إليها ماضياً
 بعيداً . وإن لم تكن قد وطئت هذه الغابة من قبل أو رأتها إلا
 من شرفات القصر البعيدة ! . وإن هي إلا أيام قلائل حتى أخذت
 تسترد عافيتها ، ويسرى الدم في خلاياها ، ويدب النشاط في
 أوصالها ، وتستطيع الرياضة الهينة ، وتقبل عليها في شغف ولذة .
 ورأى الملك علام الصحة تبدو على فتاته الحبيبة فكاد يطير
 من الفرح ، وخلع على الطبيب وبالغ في إكرامه ، وعرض عليه
 أن يضمه إلى الحاشية ، وأن يجعله طبيبه الخاص وطبيب الأميرة
 فاستجاب للعرض في سرور ورضا وغبطة ، إذ جذبت الأميرة الشابة
 بجاذبيتها التي لا تقاوم ، فأصبح يحس أنها ابنته ونبته ، وأن أروح
 أيامه هي التي يقضيها في خدمتها والسهر على صحتها . وكان في الفتاة
 ذلك السحر الأخاذ الذي يؤخذ به الكبار والصغار والرجال والنساء ،

فما يحسون إلا وهم مأخوذون بها ، مفتونون بسحرها ، وكذلك
استراح الطبيب إلى جوارها ، والتذ صحتها بعد بضعة أيام .

وقال الطبيب ذات يوم : ياليت الأميرة تقضى أوقاتها جميعاً
في الغابة . إذن لاستردت صحتها بأسرع مما تستردها ؛ لأن هواء
الغابة هو دواؤها وترياقها . وما سمع الملك هذه الكلمة العابرة
حتى أعر ببناء برج في وسط الغابة بداخله قصر صغير يسم الأميرة
وحاشيتها وحرسها ، ويقوم البرج حوله سياجاً حصيناً ؛ وكلف
حور أن يشرف على البناء بحيث يتم سريعاً ؛ وقال له : وددت
يا حور لو أمسى وأصبح فأجد البرج قائماً !

وجمع حور المهندسين والبنائين والفعلة من أرجاء المملكة
وكلفهم أن يفرغوا في مدى شهر واحد من بناء البرج
والقصر وإعداده بكل ما يلزم له من وسائل الراحة . وما مضى
الأجل المضروب حتى كان البرج قائماً والقصر مؤثلاً بأخضر
الرياش وأوثر الفراش ، فلا يفترق عن قصر الملك إلا بأنه أصغر
منه حجماً وأحدث منه بناء .

وانتقلت الأميرة وحاشيتها وحرسها وطبيبها معها . وكانت
صحتها قد تحسنت وقوتها قد اشتدت . فاقترح الطبيب أن تركب

فرساً وتجول في الغابة كيلا يجهدا السير الطويل في أرجائها البعيدة . فرغبت الأميرة أن تنزىا بزى فارس ، وأن تصحبها كوكبة من الفرسان ، وأن تتدرب على ألعاب الفروسية ، فهي تجد في نفسها ميلا إليها ، وقدرة عليها .

وسرعان ما نفذت رغبتها ، فإذا بها في الصباح ترتدى ملابس الفرسان ، فلا يشك أحد وهي قائمة على الفرس ممشوقة القد ، معتدلة الجسم في أنها فارس ، وإن كان أثر من الشحوب لا يزال في وجنتيها . ومرت الأيام واشتد ساعد الأميرة ، ومرنت على ألعاب الفروسية ، وعاد إلى وجهها التورد والنضارة ، وأخذ جسمها الفتى يمتلئ ويستدير ، وتبرز معالم الأنوثة فيه على الرغم من كسوة الفارس التي تخفيه !

ثم أقبل الربيع ، ونضج الجو بالدفء اللذيذ ، وخدرت أنفاسه بالأريج المعطر ، وأحست الفتاة أن في حناياها أشواقاً تائهة لا تعرف لها كنها ولا اتجاهها ، واشتاقت إلى كل شيء ، وحنّت إلى كل شيء ، واستمعت في ضميرها إلى أصداء غائرة سحيقة ، تنبعث من قرارات غامضة مجهولة ، فأرخت لفرسها العنان ، وسارت نصف مغمضة ، كأنها ثمة نشوانة . . . وبينما هي تمضي وكوكبة

الفرسان خلفها وفيهم طيبيها ، إذا هي تنتبه على صوت ناي
ينبعث من بعيد ، في نغماته شجور وفي الحانة حنين ، فأحست كأنما
هذا الصوت صدى لما في نفسها من أشواق وأشجان ، فاندفعت
تتبع مبعثه ، وتتقصى مصدره ، وشيئاً فشيئاً أخذت تقرب من
مصدر الصوت المسحور ، وإذا بها تخرج إلى منفرج في الغابة
ترعى فيه بعض الشياه ، وقد جلس على قرب منها فتى من الرعاة
مشرق الوجه مالوح البشرة تبدو عليه مظاهر القوة والفتوة ، وبجانبه
فتاة ، وفي فمه ناي ، وكأنما هو غائب عن العالم يرسل أنفاسه
الحالة أصداً وأنعاماً من نايه المسحور . فهدأت حركة الخيل
وأشارت بالصمت والهدوء ، كيلا تزعج العازف الحالم ، فلقد
أدركت لأول وهلة أنه يحلم في أنغامه التأملية حالمًا سعيداً بعالم
مجهول ، لا يرتاده وحيداً ، فالتى بجانبه شريكته فيه !

ودغدغ حسها هذا الخاطر لحظة ، وانطلق خيالها يهوى في تيه
مخدور ، لم يوقظها منه إلا انقطاع النغم ، فقد تنبه الفتى إلى
كوكبة الفرسان ، فكف عن عزفه المسحور
وتقدم الفارس من الفتى ، فهب هذا واقفاً .
قالت :

— ألعنا أزعمناك أيها الفتى فكففت عن عزفك الجميل ؟
قال :

— لا يا سيدي . فأنا قد فرغت من عزفي . وإنما
نحن نتسلى !

قالت (وألقت إليه بصرة من النقود) :

— هل لك في هذه على أن تعيد العزف من جديد ؟
قال :

— خل لك نقودك يا سيدي . فلست أعزف مأجوراً
قالت :

— بل هي هدية لك لا أجر ، جزاء ما أهديت إلينا من
عزفك الجميل . وإن شئت فزدنا .

وأخذ الفتى نايه بين أصابعه ، وراح ينفخ فيه بأنفاسه ،
فتنبعث منه نغمات ولما لم يكن تلك النغمات الحاملة التي
كان يبعثها منذ حين . وعبثاً حاول أن يعيد أنغامه الأولى ، فألقى
بالناي جانباً وتوجه إلى الفارس الجميل يقول .

— معذرة . فلست أدري أين ذهبت نغماتي . لساكن هذا
ليس ناي الذي أعرفه من سنين ؟ فابتسمت مجاملة وقالت :

— كلا إنها لغفات حلوة : ولعلنا نحن الذين أفسدنا عليك
لذة استماعها . فحسبنا هذا . . .

وهمت أن تلوى عنان فرسها ، وهي تقول :

— لكأني بك تعزف كل يوم هنا ؟

قال :

— كثيراً ما نرعى أغنامنا في الغابة فنعزف لها . . . ولنا !
ثم انطلقت الكوكبة في طريقها تتم جولاتها . ولكن الأميرة
لم تجد في نفسها ميلاً لإتمامها ، فقالت :

— حسبنا اليوم . فأنا في حاجة لأن أرجع سريعاً .

وخشى الطبيب أن يكون قد ألم بها سوء ، وقد شاهد
اضطرابها الذي راحت تخفيه . فلما كانا في القصر حاول أن
يستفسر عما بها ، فطمأنته على صحتها ، وآوت إلى مخدعها سريعاً
لم تكن تدري حقاً ما بها ، ولكنها كانت تحس ميلاً شديداً
إلى العزلة . كانت تائهة خدرة كالنشوانة ، وكانت في حاجة لأن
تغمض عينيها في رفق ، فما تريد أن تنظر شيئاً . وأحست مرة أنها
تود لو تبكي ، ومرة أنها تود لو تغنى . وتمددت على الفراش الوثير
ولكنها وجدت في نفسها شوقاً لأن تحتضن شيئاً ، فاحتضنت

وسادتها برهة ثم ألقها جانباً ، واستوت في فراشها جالسة .
 ثم أخفت وجهها بين يديها ، وضغطت على عينيها ضغطاً
 شديداً . ثم انطلقت تقهقه من حركاتها الغريبة . ثم ارتدت
 إلى ما يشبه الوجوم ، وهي لا تدري ماذا أصابها ، ولا تعلم من
 أمرها شيئاً !

وباتت ليلتها في يقظة ليست هي الأرق ، تتخللها فترات من
 النوم المنقطع الملوء بالأحلام . وعند ما أصبح الصباح كانت
 تحس في روحها نشوة ، وتحس في جسدها فتوراً ؛ ووجدت في
 نفسها شوقاً إلى الغابة لم تعهده من قبل على فرط حبها للغابة
 وما فيها ؛ وأخذت في التجوال كالعادة ، ولكن أذنها كانت
 مرهفة للأصوات والأصداء ؛ فما لبثت أن التقطت النغم الغائر
 المسحور ، فيممت نحوه في منعرجات الغابة في همس ولطف ،
 ووقفت بعيداً عن مصدره تسمع ولا ترى ، حتى انتهى العازف
 من عزفه فبرزت له راكضة بفرسها نحوه . فلما قربت منه نهض
 الفتى واقفاً محيياً في احترام بالغ . فقالت في لهجة مرحة مشرقة :
 — وهكذا غافلناك وسرقنا أنعامك دون أن تشعر بنا .

خذ هذه هدية اليوم ، جزاء ما سرقنا أنعامك الجميلة !

وحاول الفتى أن يرد الصرة للفراس في إباء البدوي الشريف
فربت الفراس على كتفه وهو يقول :

— لماذا لا تقبل هديتنا الضئيلة ، ونحن نستمتع بما هو
أثمن وأغلى ؟ !

وأحست في هذا اليوم براحة هائلة عند عودتها ، وزايلها
تردداتها واضطرابها . . . وأشرقت في نفسها مطالع مضيئة ، وإن
لم تأخذ لها وجهة محدودة .

ومضى الحال على هذا المنوال أياماً طويلة توثقت فيها الألفة
بين الفراس والراعى ، وأصبح لقاؤهما في كل يوم أمراً مقررّاً ؛ ولم
يعد الفتى الراعى يجفل أو يضطرب لرؤية الفراس وكوكبته ، ولم
يعد عزفه يفسد ويموت إذا عزف على مرأى منه ومسمع ، فالفراس
صديقه ، وإنه ليهفو إلى هذا الصديق الطيب المرح الجميل ، فوق
ما يهفو الصديق إلى الصديق . . .

لذا لم يجد الفراس صعوبة في إقناع صديقه الراعى ذات يوم
بأن يصاحبه في جولاته اليومية ، وأن تكون له فرس في الكوكبة ،
وأن يدربه رئيسها على ألعاب الفروسية ! ولما احتج بغمه وفتاته
بنت عمه ، حلت العقدة بأن يقوم مقامه هناك أحد فرسان

الكوكبة كل يوم ، حتى تنتهى الجولة . وكان هذا فعلا !
وبعد شهر كان الفتى الراعى قد برع فى ألعاب القروسية جميعاً
فقدّمه المشوق ، ووثاقة تركيميه ، ومرونة عضلاته ، وهوايته لفته ،
كل ذلك قد صاغ منه فارساً فى فترة قصيرة ، وإن لم ينقطع
عزفه الجميل كل يوم فى فترة من جولاته

وبينما الفتى مندفع فى طريقه ، يستطيب عشرة رفيقه ،
ويستلذ جولاته ونغماته . . . كان قلب الفتاة الراعية يندرها بشر
غامض من وراء هذه السيرة ، فبدأت تضجر من هذه الرحلة
اليومية ، وتضيق بهذه الجولة التى تحرمها منه ومن أنعامه . . . ولم
تكن تدرى من حقيقة الأمر شيئاً . ولكن الأحاديث تتصل
بينها وبين الفارس الذى يؤانسها ، وتقرب المسافة بينه وبينها ،
ويفيض معها فى الحديث ، فيفيض إليها ذات يوم بالسرا الخطير :
إن الفارس الجميل ليس رجلاً . إنما هو الأميرة التى تسكن هذا
البرج العالى ، وهى ابنة الملك المحبوبة !

لو كانت طعنة خنجر لما وخزت الفتاة هذه الوحزة ، ولو كانت
لدغة عقرب لما غزتها هذه الغزة ، ولو كانت قطعة جمر لما حرقها
هذه الحارقة . . . ليته يعود اللحظة لتأبى عليه أن يفارقها ،

ولتشبث به فلا تدعه مرة أخرى . ولتأخذه وتمضى به ناجية إلى
أبعد مدى . . . وإنه ليعود فتندفع إلى صدره باكية في حرقه
ثائرة ، تطلق عنقه بذراعيها ، وتدفن في صدره وجهها ، وهي
تشرق بالدمع ، فتنشج نشيجاً متقطعاً .

ويبهت الفتى لهذه المفاجأة ، ويسأل مرة ومرة ماذا أصابها .
فإذا هي استردت أنفاسها راحت تقول في عنف وضغط :

— لن نبقي هنا . لن نأتى هنا أبداً . إننى خائفة عليك
وعلينا من هذه الجولات التى لا تنتهى .

ويعجب الفتى لهذا الإصرار ، فيقول :

— وأى شيء فى أن أتجول ساعة أو ساعتين مع جماعة من
الفرسان فى الغابة ، لى بينهم صديق ودود ؟

وهنا يخون الفتاة احتمالها فتندفع صائحة فى ولولة ونشيج :

— أى صديق تعنى ؟ إنه ليس فارساً . إنها فتاة . إنها
ابنة الملك تتزيا بزى فارس . هكذا علمت وإننى لأخشى عليك
وعلينا !

وفوجئ الفتى بهذا التصريح العجيب ، وإن أحس له فى
نفسه طعماً لذيذاً . وراح يسألها فى دهشة يشوبها الارتياح :

— ابنة الملاك؟ من قال لك هذا؟

وكأنما تسربت إلى نفس الفتاة حقيقة ما جال في نفسه ،
فاشتملت خواطرها ، وقالت في لهجة صارمة صارخة عنيفة :

— قات لك لقد علمت . أخبرني الفارس الذى يبقى معى
هنا . لقد أراد أن يتحجب إلى فأفضى بهذا السر . أفى حاجة
أنت إلى توكيد جديد؟

وانتظرت أن ترى علائم الغيرة التى قصدت إلى إثارتها بذكر
تحجب الفارس إليها . ولكنها لم تلمح أثراً لهذا الخاطر فى ملامحه ،
فغاضها ذلك جداً ... أما هو فسرّح بخواطره لحظة وارتمى يهيدى
من روعها :

— وماذا علينا إن تكن فارساً أو فتاة . . . إنها تمنحنا فى
كل يوم ضرة كهذى !

وأخذت الفتاة منه الصرة ، فألقته بعنف على مد ذراعها
وقالت :

— لا نريد المال . فأنا أتوقع من ورائه شراً .

ثم تعلقت به فى تهالك وتخاذل ، تناشده ، والدموع فى
مآقيها ، أن يمضيا منذ اليوم ، فلا يعودا إلى هذا المسكان أبداً .

ولكنه أخذ يهدى روعها ويطمئنها ويزيل مخاوفها ، حتى هدأت
ثأثرتها ، وعالودها هدهوؤها ، وإن لم تسترجع طمأنينتها .

وكرت الأيام على هذا المنوال ، والصدقة تزداد كل يوم
وثوقاً ، وقد أخذت نظرات الفتى الراعى إلى صديقه الفارس
تشع بريقاً جديداً ، ونبراته ونغماته تزداد حرارة واتقاداً ، وكثيراً
ما كانا ينفردان عن الكوكبة لحظات ، فيحس كلاهما شوقاً
جارفاً لأن يحتضن رفيقه ، وترخم نبراتهما في هذه اللحظة ،
وتشع نظراتهما حنيناً . ولكن لا الفتى بقادر على أن يدنو
خطوة ، ولا الأميرة بقادرة على أن تكشف القناع للراعى ! . أما
الفتاة فكانت تتلظى على الجمر ، وتذرف سخين الدمع ، وتظل
حائرة اللب موهلة القلب ، حتى يعود إليها الفتى ، فتحاول في
كل يوم محاولتها الأولى ، حتى كادت تئیس ، فركنت إلى
دموعها وهمومها ، وهى تذبل في كل يوم وتذوى .

ودار الفلك دورته فأكمل عاماً جديداً . وعندئذ أخذ
يستيقظ في خاطر الملك شبح النبوءة القديمة ، وتذب في نفسه
عوامل الخوف والقلق ، ويرى في حياة الأميرة بالغابة بعيدة عن
القصر الملكى خطراً قد يمهّد للنبوءة ؛ ولم يعد هناك ما يدعو إلى

بقائها هناك بعد أن كمل شفاؤها، واستردت عافيتها. وحينما وجد من « حور » ومن طبيب الأميرة موافقة على آرائه ، أصدر أمره الذي لا يرد بعودة الأميرة إلى جناحها في قصر أبيها ، وباتهاء عهد الغابة وجولاتها . وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .



فلما كانت الليلة الثامنة قالت :

كان الصباح التالي — يا مولاي — مفرق الطريق بين عهدين للأميرة والملك والمملكة جميعاً ... لقد صبح المدينة عدو مغير من الشمال ، فاجأ الحاميات المبعثرة ففوضى عليها ، وتدفع على المدينة تدفعاً ، فخرج الفرسان للقتال والدفاع . وعندئذ لم يبق مجال لتوسلات الأميرة ورجائها ، فلقد ذعرت حينما علمت بقرار أبيها ، ولكنها لم تئنس من رجعتة عنه لما تعلمه من إعزازه لها وتدليله إياها . ولكن هذا الحادث الذي صبح المدينة قطع الطريق على كل قول ، وزحم المجال على كل رجاء ، فلم يعد هناك موضع إلا للحرب التي تهدد الجميع ، ولم تعد الغابة مجال رياضة ومراد نزهة إنما هي مكان للقتل والقتال ، ولتعمقة السيوف وتكسر النصال . أما الفتى الراعى فلم تعد تعلم عنه شيئاً ، وما عاد هو يعلم أين

ذهبت ، فالحرب دائرة بأقصى سرعتها ، والجيش المغير يستغل المفاجأة إلى نهايتها ، والجميع في كرب وهم ، اللهم إلا قلباً واحداً نزلت عليه هذه الحرب برداً وسلاماً ، وطماً نينة وأمناً . ذلك قلب الفتاة الراحية التي استردت منذ اليوم حبيبها وخطيبها !

ودارت رحي الحرب أياماً ، وفوارس المدينة يدافعون كالأبطال عن مدينتهم المهددة ومملكتهم الحطمة ، ولكن المفاجأة الأولى جعلت المغيرين الكفة الراجحة ؛ وكلما مضى يوم بانت الغلبة في صفهم والهزيمة في صف المدافعين ؛ فما انتقضت عشرة أيام حتى اضطر هؤلاء إلى التقهقر والاحتفاء بأسوار المدينة بعد تغليق أبوابها ؛ وضرب المغيرون الحصار عليها ، وعادت الحرب تراشقاً بالسهم والنبال ، حينما أتاحت للفريقتين فرصة وغفلة .

ولكن هذه الحال قد طالت على المدينة فامتنعت عنها الأقوات وأصبحت مهددة بالجوع إذا نفذ منها الخزون ، فعم الكرب ، وزاد الهم ، وبات الملك ورجاله في أسوأ حال . . . إلا أن خاطراً واحداً كان يعزيه بعض العزاء : لقد ألهم إلهاماً أن ينهي حياة الأميرة في الغابة قبل الغارة بليلة واحدة ؛ ولو تأخر ذهبت أسيرة في قبضة المغيرين ، ولتحققت النبوءة كاملة ، فالأسر هو

الحياة التي لا حياة فيها ، وهو الموت الذي لا موت فيه : « لن تكون ميمية ولكنها لن تكون في الأحياء » . تلك هى النبوءة الحيرة تتكشف اليوم عن بديهة ظاهرة . حياة الأسرهى هذه الحياة ، بلا جدال . ولقد نجت منها الأميرة ، إلا أن تتحطم الأسوار ، أو أن يرغمهم الجوع على الاستئسار !

وعندما وصل فى تفكيره إلى هذا الحد اضطرب فؤاده من الخوف والقلق فما الذى يمنع أن تتحقق النبوءة التى صارت واضحة مكشوفة ، ما دام الحصار قائماً والمدينة مهددة ؟ وفى حرارة القلق أمر أن ينادى فى المدينة وأن يهتف على أسوارها : — من استطاع أن يرد العدو المفير ، وينقذ المدينة من الدمار ، فله على ذلك مكافأة نادرة : سيمتزوج بنت الملك ، ويصبح ولياً للعهد . . .

وانطلق المنادون يتصايحون فى المدينة بهذا النداء ، ويرفعون عقيرتهم فوق الأسوار ليسمعهم من فى خارج المدينة من أهل المملكة القريبين .

ومضت ثلاثة أيام لم يتقدم أحد لينال هذا الفوز الذى كان يبدو حلاماً من الأحلام ، حتى يئس الملك من الفرج ، وكاد يأمر

بفتح الابواب ، ولكن شمس اليوم الرابع أشرقت ، وإذا بشاب يتقدم إلى الملك يقول :

— أنا يا مولاي أتعهد بكسر الأعداء !

لم يكن ذلك إلا الفتى الراعى ، وقد سمع النداء من أسوار المدينة ، وكان فراق الأميرة وانقطاعها قد كاد يجننه ، فظل يبحث ويسأل حتى علم بعودتها إلى قصر أبيها ، فانتقطع كل رجاء له فيها وتمزق قلبه من الحسرة ، ثم ركن أخيراً إلى اليأس ، حتى سمع المنادى ، فخفق له قلبه خفقة شديدة ، واعتزم أن يموت أو يفوز بما لم يخطر له في الأحلام ، وظل يحتمل ثلاثة أيام ليدخل المدينة حتى سمح له الحراس بالدخول بعد أن استوثقوا من غايته ، وجاءوا به إلى الملك ليعرض عليه حاجته ! وسر الملك سروراً عظيماً بوجود هذا الشاب الشجاع ، ولكنه قال له :

— من أين لك أن تحاربهم وأنت وحيد ، فهل تجهز لك جيشاً ممن بقي من المدافعين ؟

قال الفتى :

— لا يا مولاي . لا أريد معي أحداً إلا الكوكبة التي كانت تحرس الأميرة في الغابة ، ففيها البركة والكفاية !

ولما كانت هذه هي الفرصة الأخيرة أمام الملك ، فقد أجاب طلبه ، ودعاه له ولجماعته بالنصر المؤزر ، وارتفعت أكف الجميع بالدعاء ، وتعالى أصواتهم بالهتاف ، وهم يشيعونهم إلى الأبواب وانطلق الفتى — يا مولاي — بجماعته الصغيرة ، وقلبه يطفح بشراً ، ونفسه واثقة من الغلبة ، فهو يندفع بألف عزم وعزم ويخيل إليه أن في مكنثه ذلك الجبال ، وتبديل الأحوال . . . وسرى هذا الشعور إلى نفوس رفاقه ، فانقلبوا أسوداً هائجة تذود عن العرين المهدد ، فلما ترمى إلى المغيرين نبأ هذه الكوكبة الصغيرة الخارجة لقتالهم هزئوا وسخروا ، وأقبلوا عليهم غير مكثرين بهم يحسبونهم صيداً سهلاً .

ولكن لم تمض دقائق حتى علموا : أى أبطال يقاتلون . فلقد تصرع منهم عشرات الفرسان فى الميدان ، فأفاقوا ، وبدءوا ينظرون إلى خصومهم القلائل نظرة جديدة ، ويحملون عليهم حملة صادقة . . . ولكن الفتى راح يصول ويجول ويصرخ ويهدر ، ويقتل ويجندل ، والغبار ثائر والمركة فائرة ، حتى أطاح منهم الرعوس وشتت الجموع ، وألقى الرعب فى القلوب ، وهو يهدر فى ثورة واندفاع ، وكأنما هو غائب عن الوجود . . حتى أقبل الليل

فتحاجز الفريقان ، وعاد الفتى بفرسانه إلى المدينة لم يتخلف منهم سوى اثنين صرعا في الميدان ؛ فاستقبلته المدينة كلها بالفرح إذ كان المراقبون على الأسوار يراقبون المعركة ويعلمون الملك بسيرها طول النهار . فلما لقيه استقبله مرحباً وضمه إلى صدره مشجعاً . وأصبح الصباح فبرز الفارس وجماعته ، وبرز له من المغيرين شجعانهم وفرسانهم ، فما زال يكرر وقائع اليوم الأول ويزيد حتى أوشك المغيرون على الهزيمة . لولا تشددهم بكثرة العدد وخوف الفضيحة . فما أمسى المساء حتى بادروا بالاحتجاز . وكان يوم ثالث ورابع وخامس ، ثم رجعت الكفة نهائياً ونوى المغيرون الفرار ، فماسكوا حتى جن الليل ، ثم ألقوا مولين الأدبار . فما أصبح الصباح حتى كانوا قد أبعادوا إلى الشمال ، فانطلقت في المدينة الزغاريد ، وعلت الأهازيج ، وراح أهل المدينة يتعانقون في الطرقات ، ويتبادلون التهاني ، في بشر وانسراح .

ولم يبق إلا أن يفي الملك بما وعد ، وأن يغال الفتى حلمه البعيد واستقر الرأي على أن يتم ذلك بعد ثلاثة أيام ، وأن يهيأ استقبال حافل رائع للبطل المنقذ ، فبييت هذه الليالي خارج المدينة حتى

تأخذ زينتها وتستعد لاستقباله ، فإذا كان اليوم الرابع دخلها مع
طلعة الشمس كما دخلها أول مرة ، حيث يذهب إلى القصر الملكي
فتستقبله كذلك الأميرة ...

ومضى الفتى يحلم — يا مولاي — حلمه السعيد البعيد ، ومضت
المدينة تنهياً لاستقباله ، والأميرة تكاد تطير من الفرح بعريسها
البطل ، وبجبيها القديم . ولم يحس الجميع أن هناك قلباً يتمزق
ونفساً تتحرق ، وأن هناك إنسانة تحس لدع الحجر ولدغة الأفعى
وعذاب الجحيم .

تلك الفتاة الراعية — يا مولاي — التي كانت مولوة بابن عمها
الراعى ، والتي أمست وأصبحت فإذا آملها التي عاشت بها ،
وأحلامها التي داعبتها ، وحياتها كلها التي أقامتها ، تتحطم وتتناثر
في عنف وقسوة دون أن يشعر بها أحد من الناس ، فالجميع منصرفون
إلى الاستعداد لليوم العظيم الذى سيقضى عليها القضاء الأخير . .
ماذا تصنع وهى وحيدة فريدة أمام التيار الجارف الذى
لا يحس بوجودها ، ولا يعنى بآلامها ، ولا يفكر فيها أقل تفكير
تصرخ ؟ تلول ؟ تنطلق كالجنونة تنادى فى كل مكان : أيها
الناس اسمعوا . إن هنا مخلوقة آدمية تدوسونها كالنمل . . ولكن

ما فائدة هذا كله ، ولن يسمع لها أحد ولن ينظر إليها أحد ،
 وصوتها مهما علا سيغرق في ضجة المزج والهتاف !
 أو مضت في خاطرها فكرة كما تومض الشعلة المضئية من بعيد :
 إن الموقف العصيب ليس له إلا شخصية واحدة تسيطر عليه
 وترد تياره الرهيب .

الساحرة ! تيتي . ربة الشعاب والوهاد . ومسخرة المردة
 والشياطين . . تيتي هي التي توقف هذا التيار .
 وراحت تنبش في أرض الكوخ فتستخرج الصرة بعد الصرة
 فلقد كان لها من تلك الصرر نصيب ، حينما كان الفتى يلهمها
 بالذهب عن الخطر الحقيق .

وقبل أن ينجم على الصحراء الظلام ، كانت فتاة وحيدة تركض
 مدفوعة بقوة رهيبية ، لانتهاج الليل الزاحف ، ولا الأشباح في الجبال .
 ودخلت الفتاة الشعب وقد خيم الظلام ، فانطلقت تجرى ،
 وقد خامرها الرعب وهز كيائها الخوف ، ولكنها تجري وتجري
 حتى تصل إلى الكهف ، فترتمي إليه لاهثة آيسة من النجاة ، ويقع
 نظرها على الساحرة العجوز فتفرع وترتاع ، وتبادر بالقاء صرر
 النقود إليها وهي تلهث في ارتجاع .

وفتحت الساحرة فيها فانطلق منه فخيخ مبجوح :

— من القادمة فى الظلام . بلا سلام ولا كلام ؟

قالت الفتاة وهى ترتعش :

— فتاة مسكينة هجرها الحبيب وخانها الزمان . جاءت إليك

تطلب رد حبيبها إليها ، والانتقام ممن بغوا عليها .

عندئذ قهقهت العجوز قهقهة فظيعة كأنها عزيز الجان ،

وقالت للفتاة المسكينة :

— خذى نقودك فما بى إليها حاجة . اليوم يومى فأتركى

للحاجة . هيا اتبعينى إلى المدينة ، أيتها المهجورة المسكينة .

ثم أخذت تحجل وترقص وتردد : آن الأوان ، ودار الزمان

ثم صرخت صرخة منكرة رعيبة مديدة :

الانتقام . . . وانطلقت تعدو والفتاة وراءها حتى صارتا على

أبواب المدينة .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة التاسعة قالت :

كانت الشمس — يا مولاي — قد آذنت بالشروق حينما

وصلت الساحرة تيتي ومعها الفتاة الراعية ، فانتحت الساحرة جانباً ، وأوقدت النار في مجمرة صغيرة ، وألقت فيها بالبخور ، وأخذت تتلو التعاويذ ، وقد بدا على ملامحها فرح وحشى ، وجحظت عيناها الغائرتان ، وانتفضت جوارحها في حركات تشنجية ، والفتاة واقفة خلفها تفرك يديها في انتظار المعجزة التي ترد إليها حبیبها ، كما قالت لها الساحرة .

وكانت المدينة تتهياً من الداخل لاستقبال البطل الذي أنقذها ، واستقبال الأفراح التي تنتظرها ، وكان القصر الملكي يستعد لاستقبال المنقذ العريس . أما الأميرة فكانت قد قضت شطراً طويلاً من الليل ساهرة ترتقب مطلع الصبح البهيج ، ذلك الصبح الذي تلتقي فيه يقظة الدنيا بيقظة قلبها المتفتح ، والذي يسجل دورة من دورات الفلك عادية ، ويسجل في حياتها بدء عهد سعيد . فلما امتد بها الليل ، وأوشك الفجر ، أخذتها سنة من النوم فراحت في سبات ، وانثالت الرؤى على خاطرها انثيلاً ، وكلها ناعم وضى شفيف . فلما قارب الموعد انبعثت النفثات الرقيقة ، وتسلسل الأرج الذكي ، وتمشت الخطوات الهامسة في البهو خارج مخدعها ، وتقدمت الوصيفة تفتح الباب لتحيتها تحية

الصباح . وكانت الأميرة قد استيقظت على النغبات الهامسة ،
والنفحات الأريجة ، فهمت تعتدل ولم تستو جالسة بعد
في الفراش .

وفي هذه اللحظة كان الفارس قد قارب سور المدينة ، وهو
يمرق بفرسه في لهفة ، وكأنه يطير من فوقها وهي تطير . وقبيل
أن ينبعث أول خيط من خيوط الشمس كان الحراس قد تأهبوا
لفتح البوابة الكبيرة ، ووقف الحرس خلفها استعداداً لتحية
البطل الفاتح قاهر الأعداء ، وعريس الأميرة ، وولى العهد منذ
الصباح . فلما أشع أول خيط ذهبي أخذوا في دفع البوابة الكبيرة
في هذه اللحظة كانت الساحرة قد انتهت من التمتمة ، وقد
انعقد دخان البخور في الجو ، وتلوى فوق الجمرة كأذرع
الأخطبوط . وهنا انبعثت من فيها الأورد صيحة مرعبة كادت
الفتاة تصعق لها من الذعر ، ولم تكن إلا هذه الكلمات وهي
تشير بيدها إلى المدينة :

وقف الزمن . جمدت الحياة . وقف الزمن . جمدت الحياة .
ونظرت الفتاة إلى حيث تشير الساحرة ، فإذا الحراس
الذين يفتحون البوابة قد جمدوا في أماكنهم واستحالوا تماثيل .

والبوابة في أيديهم قد وقفت في منتصف الفتحة حيث كانت
عندما أرسلت الساحرة صيحتها العجيبة .

وذهل الفتاة لحظة ، فما انتهت إلا والساحرة تقهقه
كالشيطان ، في فرح جنوني بشع ، وهي تقول :
— سحرت المدينة . سحرت المدينة . شفيت الضغينة .

شفيت الضغينة .

ولم يستغرق ذلك كله إلا مدى خطوات الفارس
السريعة . . . فلما كان بقرب الباب برزت له ابنة عمه ، وقد
أفاق ، فاعترضت سبيله وزعقت في وجهه لسمع :

— كل شيء قد انتهى . وقف الزمن . سحرت المدينة . كل من

فيها تماثيل . انظر للحراس . إنهم جامدون — وهو في سرعته

الخاطفة — لم يسمع إلا قليلا ، وكاد يدوس الفتاة التي اعترضته

لولا لفتة سريعة لعنان الفرس ، فتفادها وانطلق في سبيله ، فدخل

البوابة ركضاً ، ولكن البوابة لا تتم فتحها ، وأيدي الحراس جامدة

عليها ، وهيئتهم وهم يدفعونها ، وقد مالوا بوجوههم وأيديهم إلى

الأمام في عنف ، وأرجلهم مثبتة في الأرض ، وقد انفرجت اليمنى

عن اليسرى . وها هم أولاء رجال الحرس المهياً لتحيته . إنهم

واقفون وقفة عسكرية في استعداد للتحية ، ولكنهم جامدون .
ورن في أذنه صوت الفتاة ، فاستعاد ما التقطته أذنه من
ألفاظها ، وبدأ يفيق قليلا ، ولكنه يمضى في المدينة ويمضى ،
فماذا يرى ؟

رجال جامدون على هيئتهم : هذا يفتح باب داره من الداخل
ويخطو برجله اليمنى ثم يقف جامداً والباب موارب . وهذا بائع
وضع المفتاح في قفل دكانه وأخذ يديره ثم جمد على هيئته ،
وهذا يفتح باب الدكان وهم بالدخول . وهذا فلاح يسوق ماشيته
وهو والماشية قد جمدوا في وسط الطريق . وهذه امرأة تطل من
النافذة وقد بقيت على هيئتها . . . وهكذا وهكذا من مئات
الصور والأوضاع والحركات ...

وحسب نفسه في حلم مزعج ، فنزل عن صهوة الفرس ، وراح
يلمس هذه التماثيل الآدمية في توجس وخيفة ، ثم يهزها ، ثم يصرخ
في وجهها ، ولا من يسمع أو يجيب . ولكنه سار في طريقه إلى
القصر ، وهل يمكن أن يكون قد لمس القصر ما لمس المدينة ؟
ووجد أبواب القصر تفتح والحراس متهمئين للاستقبال .
ولكن وأسفاه ! إنهم تماثيل . وارتجف قلبه رجفة شديدة . . .

واندفع يهز الحراس ويصرخ في وجوههم صرخات جنونية ...
 ولكن ماذا ؟ ليكن الجميع قد سحروا وجدوا. أما هي . هي التي
 تنبض بالحياة والإشراق ، فلن يمسهما السحر أبداً ... واندفع
 يركض ، ويقفز السلم صعوداً في وثبات سريعة . ويتلفت هنا وهناك
 في الغرف والأبهاء : فهذا هو الملك في طريقه إلى المائدة ولكنه
 جامد على خطواته ، وهذه هي المسكة خارجة من الحمام ، ثم
 انتهت خطواتها في الطريق ، وهؤلاء هن الوصائف والخدم في
 حركات الصباح ، والجميع على هيئةهم الأولى ... وزاد جنونه
 وهو يبحث عن مخدع الأميرة ، وكلما لقيه تمثال جامد زاده
 اضطراباً وفزعاً ولهفة .

ثم ها هو ذا يجد حجرة الأميرة والوصيفة ببابها : رجل في
 الداخل وأخرى في الخارج ، فيمر الفتى من جانبها ، ثم ينظر إلى
 فتاته ... يا الله ، إنها حية ! ها هي ذى تهتم بالجلوس في فراشها ،
 وقد اشربأب عنقها الجميل ، واقترتعها الفاتن عن ابتسامة وضيئة ،
 وهاتان العينان ، إن فيهما لاستبشاراً وحاملاً !
 وانتفضت كل ذرة فيه ، وهو يندفع إليها في جنون ولهفة
 فيعانقها ويصيح : ها أنت ذى وحدك التي نجوت في المدينة !

وصعق صعقة شديدة وهو يلمس الجسد البارد ، ويحس التمثال الهامد . وندت من فيه صيحة جنونية وانطلق من الغرفة عدواً يقفز السلم قفزاً ، ويجرى إلى حيث قد ترك فرسه . فيقفز على ظهرها ، وينطلق إلى خارج المدينة ، ورمح مشرع في يده ، وقد انتفخت أوداجه ، وامتلاّت عيناه بالدم ، وجز على أسنانه في غيظ ، وفارقتة كل خالجة إنسانية ، فانقلب وحشاً هائجاً مجنوناً .

وحيثما برز من البوابة لمحته ابنة عمه التي كانت واقفة بجوار الساحرة تنتظر أوبته ، وقد أحست أنها استردته .. لمحته فرأت الشر في عينيه فأسرعت تتوارى . وإن هي إلا لحظة حتى كان قد حاذى الساحرة ، وفي اندفاع عنيف أغمد الرمح في صدرها ، فخرج يامع من ظهرها ، وهو يضرس على أنيابه قائلاً : فعلتها أيتها الشيطانة !

ونطقت العجوز في صوت متقطع :

— لو أمهلتنى لأطلعتك على السر . . . !

وكاد يجن فنزل من فوق الفرس وأخذ يهرزها في عنف وهو يصرخ :

— قولى . قولى أيتها الشيطانة . قولى .

والساحرة تردد :

الماء . الماء . الماء

فقفز إلى ظهر فرسه وأركضها ركضاً شديداً
وما كاد يتوارى حتى برزت الفتاة والساحرة تحسرج .
وخافت الفتاة أن تفصح للشاب عن السر ، فإذا بها تمد يدها
إلى وسطها فتستل منه خنجرأ ، تغمدته في عنق الساحره .
وفياهي تلفظ أنفاسها الأخيرة ، نطقت في نبرات متقطعة لاهثة :
عقد السحر على حقد كظيم . ويفك السحر على حب عظيم .
وحينما عاد الفتى يحمل إناء الماء ، كان كل شيء قد انتهى
فوقف أمام الجثة مذهولاً .

وقف أمامها لحظات ، ثم اندفع نحو المدينة كرة أخرى .
بصرخ صرخات مجنونة تشبه العواء ، فلا يجيب صرخاته إلا
الصدى ، يرن في جنبات المدينة المسحورة .

وظل الفتى — يامولاي — أياماً يجول في المدينة ويصعد
القصر ، ويدخل الخدع ، عسى أن تقع المعجزة فيبطل السحر .
ولكن هيهات .

وساءت حالته فامتنع عن الطعام والشراب ، وهام في الغابة
كالوحش الداهل ، يجول في منعرجاتها ومنفسحاتها ، ويصعد

البرج القائم فيها . ثم يترد إلى المدينة ، فيظل يصرخ في جنباتها
صرخات مذعورة إلى أن يدركه الإعياء ، فينطرح على الأرض
حيثما اتفق : في الطريق ، أو على عتبة دار ، أو في منعرج من
الغابة . والفتاة تتبعه حيثما ذهب ، وتلهجه عن كثب ، خيفة أن
تفترسه الوحوش ، أو يموت من الجوع . وفي لحظات ذهوله تجرعه
جرعة ماء ، أو تدس في فيه لقمة أو ثمرة فاكهة ، حتى لا يقتله
الظمأ والطوى .

وظل على هذه الحال أياما طويلة والفتاة الوفية المحبة تتبعه
كظله ، حتى أفاق من غاشيته ، وسرى اليأس إلى قلبه ، وعلم
أنه كان حلم وانتهى كما تنتهى الأحلام ، فعاد إلى حبيبته الأولى
ولاحظ ذات يوم أن الزمن في المدينة لا يتغير ، فهو أبداً
مطلع صبح . وعندئذ أدرك مع ابنة عمه معنى قول الساحرة
العجوز :

وقف الزمن . جمدت الحياة
وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكنت عن الكلام المباح .

فلما كانت الليلة العاشرة قالت :

منذ هذا الوقت — يامولاى — استحوالت المدينة المسحورة
عجوبة الزمان ، وقصة كل لسان ، وتناقل الركبان أخبارها ، فوجد
عليها الناس من مشارق الأرض ومغاربها ، ينظرون هذه
العجيبة الغريبة ، ويتذاكرون حوادثها القريبة والبعيدة . وكان
أعجب شئ فيها غير التماثيل الآدمية الجامدة . ذلك الوقت الذى
لا يتغير ليلاً ولا نهاراً . صيفاً ولا شتاءً ، فهو دائماً مطلع صبح ،
حينما ترسل الشمس أول خيوطها الذهبية .

ودار الفلك يامولاى ثم دار ، وانقرض الجيل الذى شهد
الحادثة وتلتها أجيال ، والمدينة قائمة بكل ما فيها ومن فيها ، وقد
وقف الزمن على بابها بأحداثه وغيره ، وتقلباته وأفاعيله ، فكل
ما فيها على حاله ، والدنيا من حولها تتغير وتتبدل .

واستحوال الزمان ، وتغيرت الدول ، فدخلت المدينة والإقليم
من حولها فى المملكة الشمالية ، ثم ظلت الممالك الأخرى تندمج
حتى صارت مملكة واحدة عظيمة .

أما المدينة المسحورة فقد قام عليها الحراس ينظمون زيارتها

للوافدين عليها من مشارق الأرض ومغاربها ، والأدلاء يشرحون
للزائرين قصتها ، ويروون لهم أعاجيبها ، جيلا بعد جيل ، حتى
اكتملت ألف عام ، منذ أن وقف فيها الزمان .

وفي ذات يوم قدم المدينة فيمن يقدمون كل يوم للزيارة شاب
مثال بارع . جاء يستلهم الفن الإلهي القائم في التماثيل الأدمية
بالمدينة المسحورة .

وطاف بالمدينة شارعاً شارعاً ، وبيتاً بيتاً ، فراعته هذه
الجموعة العجيبة من التماثيل المبتوثة . ووقف مهوياً أمام ذلك
الغنى الفائض في التنويع الذي لانهائية له . في السحن والملاحح ،
والقسمات والمعاني . فهناك آلاف التماثيل ليس فيها تماثل كتماثل :
نساء وفتيات ، وشبان وشيوخ ، وأولاد وبنات ، من كل حجم
ولون ، ومن كل طابع وشكل . ومئات الحركات ، وألوف اللفقات
وأشتات لاحصر لها من المعاني السكامنة في السحن ، الناطقة
في القسمات .

وقف ويستقرى أشتات المعاني وأشتات الرموز ، ويتأمل

هذا المتحف الإلهى العظيم ، فأحس بالضالة والصغر فى نفسه ، وفى
فنه ، وفى نفوس المثالين أجمعين .

إن جميع ما أخرجه مثالو الدنيا وما يخرجون ، لن يكون شيئاً
أمام المدينة المسحورة ، وأمام الغنى الوافر فى التنوع والتصوير .
ثم دخل القصر ، وسار فى أبهائه وردهاته ، وتأمل فى أهله
وشخصياته . . . وقاده الدليل إلى أعظم حجرة فيه : حجرة
الأميرة المسحورة . . .

وما كاد الشاب يلمح الأميرة فى وضعها الفنى الجميل ، حتى
وقف أمامها مبهوراً . . . إن أعظم مثال على هذه الأرض لن
يستطيع إخراج هذا التمثال : فى وضعه . فى ملامحه . فى قسياته .
هذه الانثناءة فى ذلك الجسد القاتن . هذا الصدر فى بروزه
الناهد . هذا الجيد المشرئب المتطلع . هذا الوجه الذى تفيض
قسياته بشراً وسحراً ، هذا الثغر الذى يهيم بابتسامه ساحرة .
هاتان العينان الحالمتان المغرقتان فى الحلم الوضىء .

وقف الفتى لحظة مبهوراً ، ثم خطا نحو التمثال ، وكأنما يخطو فى

محراب ، ثم باعد وقارب ، والدليل يثرثر من حوله بالقصة العجيبة وهو مستغرق في التمثال ، كأنما استحال إلى تمثال !

وظل الدليل ينتهى من القصة ثم يعيدها حتى مل ، فصمت وبدأ عليه الضيق من هذا الزائر الذى ينظر ببلاهة إلى التمثال ولا يزايله ، ودخل زائرون آخرون وخرجوا ، وهو واقف وقفته الذاهلة . . . وأخيراً نبه الدليل فى استئقال إلى أن وقت الزيارة قد انتهى . فخرج يجر رجله جراً ، وهو يعاود النظر إلى التمثال بين لحظة وأخرى !

منذ ذلك اليوم — يامولاي — والفتى المثال ينتظر الصبح بفارغ الصبر ، لينطلق إلى المدينة المسحورة ، ثم لا يضيع لحظة واحدة فى مشاهدة التماثيل الأخرى ، إنما يقصد توة إلى مخدع الأميرة ، حيث يقف طول مدة الزيارة حياها كالعابد المتبتل الذى يتطلع إلى إله !

وتكررت زيارته ولا حظ الحراس والأدلاء أطواره ، فلقبوه بالجنون ، وصاروا يتغامزون عليه كلما دخل أو خرج ، وهو ذاهل عنهم بالتطلع إلى تمثاله الجميل !

وخيل إليه أنه قد حفظ في خياله أدق دقائق التمثال ، فأوى
إلى مرسمه يحاول أن يفتح تمثالا مثله ، وهو يبنى نفسه بالمجد
والشهرة والخلود .

وعكف أياما على تمثاله الصخري حتى أتمه ، صورة طبق الأصل
من نموذج . ثم وقف أمامه يراه . . .

ولكن لم تمض إلا دقائق حتى أهوى بأزميله على التمثال
فطمه تحطيا وتركه جذاذاً . لقد خيل إليه أن التمثال النموذجي
حي ، أما تمثاله فميت . فانطلق يعدو إلى التمثال الحي الحبيب .
وفي نفسه لفحة وملء روحه اشتياق .

ودخل الخدر ، والحراس والأدلاء يتصايحون : لقد عاد
الجنون . ولكنه اندفع لايها بل لا يسمع . اندفع حتى وقف
أمام التمثال ، ثم دنا فركع بجواره ، ثم قرب فعانق التمثال ، مغمض
العينين ، تأله الحس ، موله النفس ، وجالت في نفسه أمنية
عظمى ، جمع فيها نفسه وحسه ، حتى رآها حقيقة واقعة لفرط
اندماجه فيها :

آه . لو تدب فيها الحياة ! . . .

هنا يامولاي . تمت المعجزة الكبرى . لقد انتفض التمثال

الجامد حياً؟ والفتى مغمض العينين تأنه عن الوجود، وحينما أحس
بحرارة الجسد الهامد بين يديه كان لا يزال في غيبوبة، يطالع
حلمه الذى يغمر نفسه. فما راعه إلا صوت قريب منه وصوت
آخر بعيد:

صوت يجاور أذنه: يا لله! كيف قد جئت وأنا لا أدري؟!
وصوت بجوار الباب: رباه! شاب فى مخدع الأميرة!
كانت المعجزة قد تمت يا مولاي. ففي اللحظة التى انتفض
فيها التمثال الجامد حيا سرت الحياة فى القصر والمدينة جميعاً.
وكانت الوصيصة القائمة بالباب تنظر فتري الفتى فى مخدع الأميرة،
وكانت الأميرة تنظر فتري الشاب، وهو هو فتاها. (فهو من
نسله وهو شبيهه).

وكاد يجن. وهو يبصر المعجزة الكبرى. وجدت الالفاظ
على شفثيه، إلا جملة واحدة ظل يرددها ساها حالما مهوتا:
وقعت المعجزة. وقعت المعجزة...

وعجبت الأميرة: ما باله هكذا مهوتا مأخوذاً. وحسبته
يذكر معجزة النصر على المغيرين، أو معجزة التقائه بها بعد
اليأس والقنوط. فراحت تقول:

وقعت وقعت . ولكن كيف دخلت ها هنا . وأنا لا أدري ؟
وما هذه الملابس التي ترتديها ؟ وما لك هكذا مبهوتا ؟
وهو ماض في ترديد الجملة الوحيدة التي يملكها
ولما يُئست من أن يرد عليها بشيء . قالت :
— إذا لم تستطع أن تتكلم فاعزف لي لحن الغابة !
وهمت واقفة فطوقته بذراعيها . فأجفل منها لحظة ، ثم اندفع
يضمها ضمّاً شديداً . . .

أما الوصيصة التي راعها ما شاهدت ، فقد انطلقت تعدو إلى
الملكة تخبرها . وما كادت تقبل حتى وجدت بعض الحراس
يهرعون إلى الملك في ذعر شديد ، يعلنون إليه نبأ اقتحام
المدينة بمخلوقات كثيرة من أجناس لم يروها من قبل أصلاً !
وكان الذي حصل أن فوجيء المتفرجون بالحياة التي دبت
في المدينة في اللحظة الأولى . وفوجيء المبعوثون بهؤلاء الغرباء
الذين لم يروهم من قبل أبداً . وتنبه حراس القصر والمدينة القداماء
فحسبوا المغيرين قد ارتدوا على المدينة ، فانشئوا يعملون فيهم
أسلحتهم دفاعاً عن مملكتهم ومدينتهم . وعم الذعر أولئك
الزائرين وهم يرون التماثيل تحيا ، وتمخن فيهم جرحاً وقتلاً .

وتعالت الصيحات من كل جانب ، وهرب من الزائرين من
هرب ، وأخذ منهم بعض الأسرى !

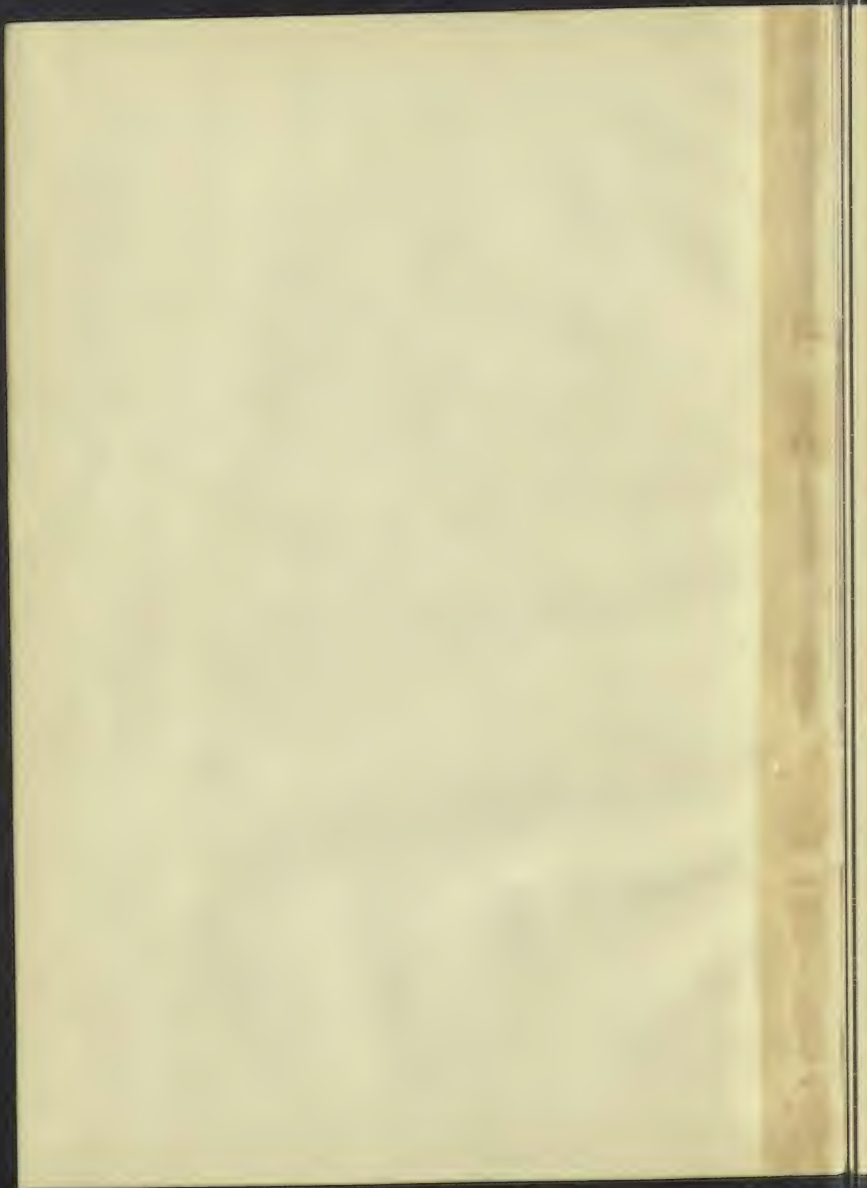
وجى بالأسارى أمام الملك ، وهم فى فزع وذهول ، وقيل
للملك : هؤلاء بعض المغيرين أما الآخرون فقروا فراراً !

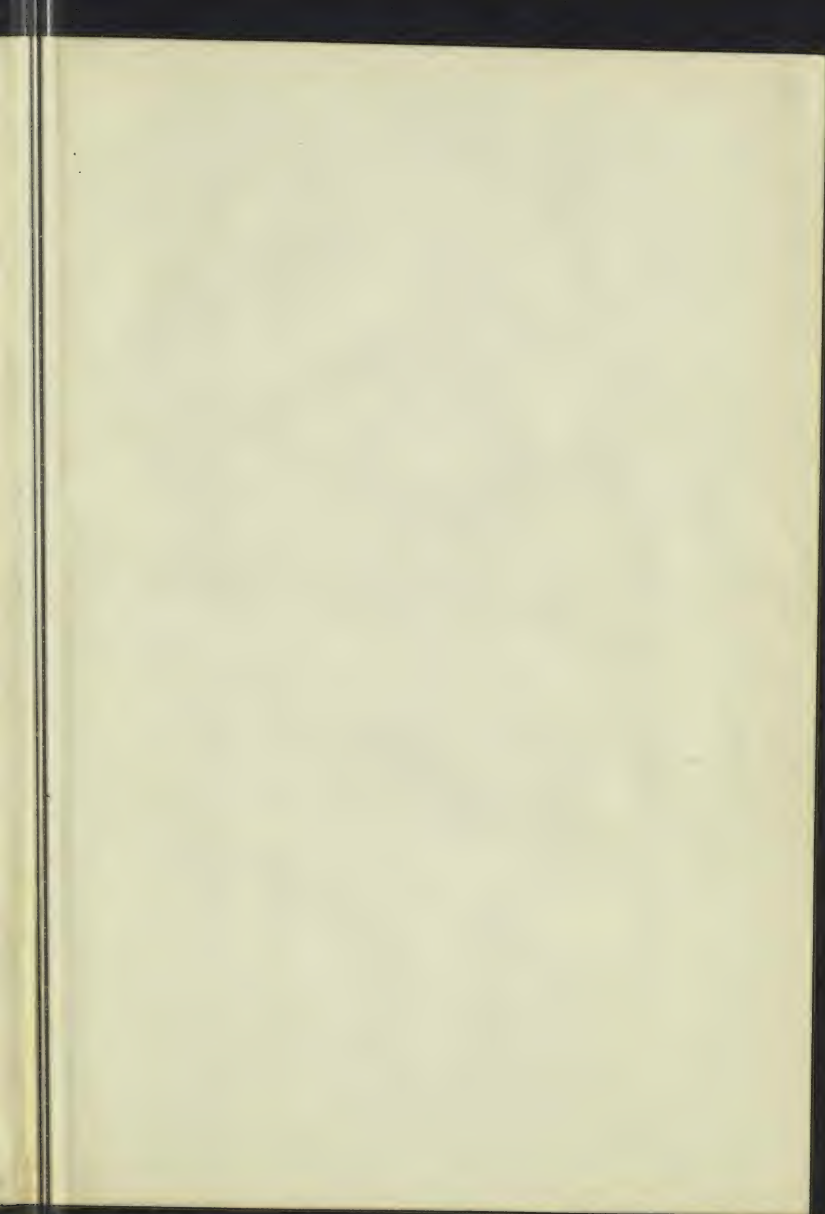
وأخذ الملك فى استجوابهم عن بقية الجيش المغير ، وكيف
خدعوا المدينة وأهلها فهربوا ثم عادوا ؟ . . . وفى خوف يعقد
الأسنة وذهول يحير العقول ، حاول المساكين أن يفصحوا عن
المعجزة التى وقعت بين أيديهم منذ لحظة . فوقع بيانهم من
الملك وحاشيته موقعاً عجيباً . وحسبهم يهزأون بهم ، كما ظنوا
بعقولهم الظنون . . .

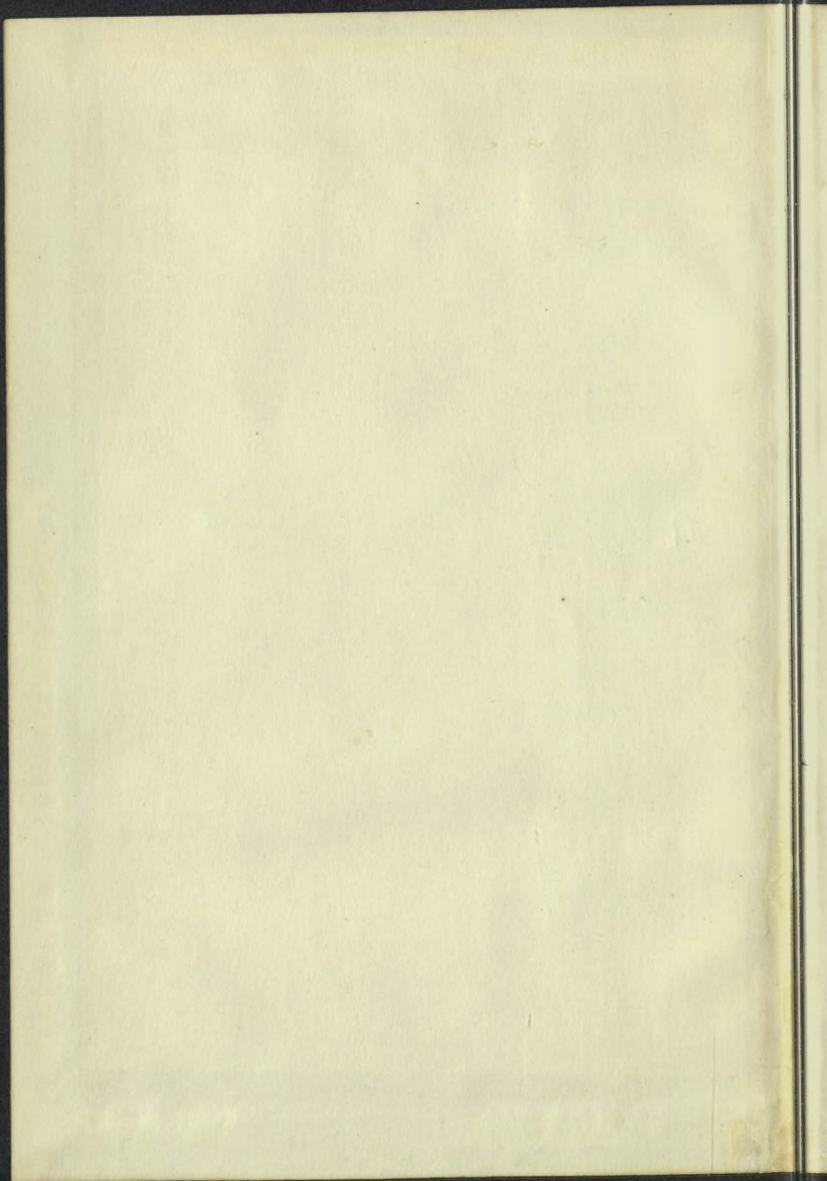
وكان الخبر العجيب قد ترمى إلى سلطات المملكة من
الحراس الذين هربوا ومن الزائرين الذين نجوا ، فأقبل الحكام
والوزراء والأهالى والعساكر لرؤية المعجزة الكبرى . أما الذين
هم داخل المدينة فلم يجلب فى خاطرهم إلا أن جيوش الأعداء قد
هجمت مرة أخرى ، ورأوا لكثرة المهاجمين أن لا مفر من التسليم !
وكان انتشار الخبر قد هز البلاد هزاً ، فوفد الناس من كل
جهة ، وراحوا يتطلعون فى دهش إلى هؤلاء الآدميين الغرباء

ولم تمض يا مولاي إلا ساعات انطلق الزمن فيها من عقاله حتى
 بدا على هذه المخلوقات فعل ألف عام ، فإذا هم يتهاوون جشاً
 هامدة ، وعظاماً نخرة ، ورفاتاً سحيقاً . والناس من حولهم في
 ذهول شديد .

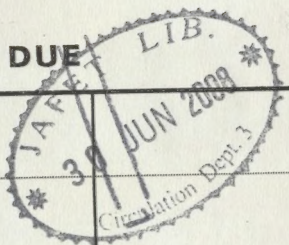
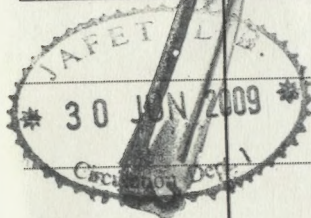
أما الأميرة — يا مولاي — فقد وقف الزمن إزاءها
 عاجزاً . لقد كانت تحب . وماذا يصنع الزمن — يا مولاي —
 في قلب يحب ؟







DATE DUE



Circulation Dept.

قطب، سيد

المدينة المسحورة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01038443

892.78
Q673mA
C.1